روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

وجه الأفعى

121

د. نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥١ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس: ٢٨٢٧٠٠١

رجل المستحيل

(أدهم صبرى).. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١- بلا استثناء..

انخفضت درجات الحرارة، على نحو مخيف، فى تلك الليلة، من ليالى (موسكو)، حتى إن جهاز التدفئة القوى، فى سيارة الملياردير الروسى (إيفان مالينوفيتشى)، لم ينجح فى القيام بعمله كما ينبغى، مع الجليد المتراكم على سطح السيارة، والذى جعل السائق يغمغم فى توتر:

- لم يكن من الجيِّد أن تجازف بالخروج، فى ليلة كهذه يا سيِّد (مالينوفيتشى).

مطَّ الروسى شفتيه فى حنق، وهو يفرك كفيه، اللذين داخل قفازين جلديين سميكين بالفعل، وقال فى عصبية:

- ومن كان يرغب فى الخروج؟ إنها رحلة إجبارية يا هذا.

وألقى نظرة سريعة على ساعته، قبل أن يضيف فى حدة:

- وتلك الطائرة اللعينة لم تصل بعد .. كان ينبغى أن تكون هنا ، منذ سبع دقائق على الأقل .

تمتم السائق :

- إنه هذا الطقس الردىء يا سيِّدى .. إنه سيدهشنى أن تصل الطائرة سالمة ، فى ظروف كهذه .

مطَّ (مالينوفيتشى) شفتيه مرة أخرى ، وهو يقول :

- لم يكن ينبغى لها أن تقلع أساسًا ، ولكن هذه هى (سونيا جراهام) وطبيعتها المجنونة .. مادامت قرَّرت أن تأتى إلى (موسكو) ، فستأتى ، حتى ولو قامت الدنيا ولم تقعد .

انقلبت ملامح السائق ، وكأنما لم يرق له ما سمعه ، وقال فى شىء من الصرامة :

- هكذا القادة والعباقرة دائمًا .

التقى حاجبا (مالينوفيتشى) فى شدة ، وهو يرمق السائق بنظرة عصبية ، واعتدل فى مجلسه بحركة حادة ، وهمَّ بقول شىء ما ، لكنه لم يلبث أن كتمه فى أعماقه ، واكتفى بنظرة نارية ، شملت كل سنتيمتر ظاهر من السائق ، قبل أن يتمتم :

- آه .. بالتأكيد .

قالها ، وعاد يتراجع فى مقعده ، ويفرك كفيه ، وهو يراقب السماء ، عبر نافذة السيارة ، وقد تصاعدت فى أعماقه شكوك كبيرة ..

شكوك بلا حدود ..

وبكل مشاعره ، راح يلعن ما يحدث من حوله ..

يلعن ذلك الصراع ، الذى بدأته (سونيا جراهام) ، عندما أنشأت منظمتها (سناك) ، وسعت لامتلاك قوة نووية ، يمكنها بوساطتها السيطرة على العالم ..

ولقد كادت أن تنجح فى هذا بالفعل ..

لولا (أدهم صبرى) ..

رجل المستحيل ، الذى هاجمها فى وكرها ، على قمة جزيرة الجحيم ، وحطَّم مخططاتها ، وكل آمالها وأحلامها بضربة واحدة(*) ..

ومع انفجار جزيرة (هيل) ، اختفت (سونيا جراهام) من سجل الأحياء ..

وحلَّت محلَّها .. (السنيورا) ..

تلك الأفعى الغامضة ، التى سعت لإتمام نفس

(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

اللعبة القديمة ، والسيطرة على أمن واقتصاد العـالم ، بضربة نووية مخيفة ..

ولم تخطط (السنيورا) للحصول على الأسلحة النووية ..

وإنما لتصنيعها ..

وفى سبيل هذا ، اختطفت فريقًا من علماء الطاقة النووية ، يمكنها بوساطتهم صنع سلاحها بنفسها ..

ومرة أخرى ظهر (أدهم صبرى) ..

وكان الصراع عنيفًا ..

رهيبًا ..

وفى تلك المواجهة ، ولأن (أدهم صبرى) قد اقتحم الأحداث ، انهار الجبل على وكر (السنيورا) ، التى نجت فى اللحظة الأخيرة ، مستخدمة مشروع (السوبرمان) أقوى سلاح تكنولوجى عرفه الجيش الأمريكى ، فى ذلك الحين ..

ليس هذا فحسب ، وإنما أمكنها أيضًا الفرار بالعلماء الأربعة ، وبكل ما تحتاج إليه لصنع قنابلها النووية(*) ..

وانتقلت المحاولة إلى ملعب جديد ..

(*) راجع قصة (عمالقة الجبال) .. المغامرة رقم (١١٧) .

إلى قلب الغضب والغموض والرهبة ، والثلوج ..

إلى (سيبيريا) ..

ومرة ثالثة ، اقتحم رجل المستحيل الأحداث ..

اقتحمها مع (قدرى) و(منى) ، فى قلب (نيويورك) هذه المرة ..

وكانت المعركة رهيبة ..

إلى أقصى حد ..

معركة انتهت بإصابة (منى) ..

وبمصرع (قدرى) ..

كما تؤكد الأوراق الرسمية ..

وظهرت (سونيا جراهام) مرة أخرى ، لتقتحم الأحداث والصراع ..

ظهرت أكثر قوة ..

وخبرة ..

وحنكة ..

وبراعة ..

و ...

وقسوة ..

وكان هذا الظهور مفاجأة مذهلة للجميع ..

حتى (للسنيورا) نفسها ..

ولأن أحدًا ـ باستثناء الأربعة الكبار ـ لم يكن يتوقَّع وجود (سونيا) على قيد الحياة ، بعد ذلك الانفجار التاريخى الرهيب ، على قمة (هيل) فقد ارتبكت الأمور كلها بعودتها المفاجئة ..

وأدركت (السنيورا) أنها كانت ضحية خدعة كبيرة ..

وأن عليها أن تتحرَّك بسرعة البرق ..

لذا ، فقد دفعت فريقها النووى لإنتاج قنبلتها الذرية الأولى ، بأسرع ما يمكن ..

وفى الوقت ذاته راحت تقضى على كل رجال (سونيا جراهام) ، المحيطين بها ..

وبدأت حرب من نوع جديد ..

حرب ستحدِّد نتائجها من يعتلى العرش ..

عرش العالم أجمع ..

أما (أدهم) نفسه ، فقد قاتل فى هذه المرة ، كما لم يقاتل من قبل ..

وأثبت مرة أخرى أنه يستحق ذلك اللقب ، الذى يتميَّز به ، وسط عالمه الفريد المثير ..

لقب (رجل المستحيل) ..

ولكن مواجهته الأخيرة ، مع (أوكونور) و(ماسومى) ، عملاقى الاقتصاد فى العالم ، لم تنته لصالحه أبدًا ..

لقد انتهت به فاقدًا الوعى ، داخل صندوق أدوات ، تم شحنه إلى مكوك الفضاء ، الذى يحمل قمر الاتصالات اليابانى (ماسو ـ ١) ، والذى انطلق بشحنته الثمينة إلى الفضاء ، وراح يبتعد عن الأرض بسرعة خارقة ..

ويبتعد ..

ويبتعد ..

ويبتعد(*) ..

★ ★ ★

« ها هى ذى الطائرة .. » .

نطق السائق العبارة فى لهفة واضحة ، وهو يشير إلى السماء ، على نحو انتزع (مالينوفيتشى) من أفكاره ، وجعله يعتدل بحركة حادة ، ويتطلَّع بدوره

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الأجزاء الثلاثة السابقة .. (الأربعة الكبار) .. (فوق القمة) .. (السنيورا) .. المغامرات أرقام (١١٨) ، (١١٩) ، (١٢٠) .

إلى الطائرة ، التى بدأت مرحلة الهبوط بالفعل ، على ممر ذلك المطار الخاص ، على مشارف (موسكو) ، ثم لم يلبث أن غادر السيارة فى توتر ، وهو يتمتم :

ـ أخيرًا .

ظلّ واقفًا أمام السيارة ، يتابع ببصره هبوط الطائرة ، حتى استقرّت وسط ثلوج المطار ، فقال للسائق فى عصبية :

ـ أظن أنه يجب أن نذهب إليها .

أجابه السائق ، فى شىء من الحزم :

ـ بالتأكيد .

عاد (مالينوفيتشى) إلى السيارة ، التى انطلقت به على الفور ، حتى توقّفت أسفل سلم الطائرة ، فى نفس اللحظة التى هبطت فيها (سونيا) وهى تقول :

ـ لقد تأخّرنا بعض الوقت .. أليس كذلك ؟!

تمتم (مالينوفيتشى) ، وهو يفتح باب السيارة فى احترام :

ـ لا بأس يا سيّدتى .. لا بأس .

لم تكد تستقر فى سيارته ، حتى انطلقت بها على الفور ، وخلفها سيارة أخرى ، من سيارات

(مالينوفيتشى) ، تحمل مساعدتيها (ليونا) و(تيجرا) ، وقال الأول ، فى مزيج من التوتّر والفضول والضيق :

ـ تُرى ما سر هذه الزيارة المفاجئة يا سيّدتى ؟!

تجاهلت سؤاله تمامًا ، وهى تشعل سيجارتها ، متسائلة :

ـ ما آخر معلوماتك عن (السنيورا) ؟!

أحنقه تجاهلها لسؤاله ، ولكنه أجاب فى سرعة :

ـ (ميلوسكى) لم يبلغنى بأى تطوّرات جديدة بعد .

ثم مال نحوها ، مستطردًا فى حماس :

ـ ولكن هناك أخبار جديدة ، بشأن ذلك المصرى .

انعقد حاجباها فى شدة ، ونفثت دخان سيجارتها فى عصبية ، وهى تقول :

ـ المصرى ؟!

غمز بعينه ، ولوّح بسبّابته فى الهواء ، مجيبًا :

ـ رجل المخابرات .. (أدهم صبرى) .

سرت فى جسدها قشعريرة باردة ، وهى تسأله :

ـ ماذا حدث ؟!

أجابها متهلّلًا :

ـ (سام) و(ماسومى) تغلبا عليه .

اتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تهتف :

ـ حقًا ؟!

أجاب فى سرعة وانفعال :

ـ لقد هاجم (سيتاديل) مرة أخرى ، وكاد يهزم الجميع ، لولا أن باغته اليابانى من الخلف ، وأفقده الوعى ، ثم شحنه إلى (ماسو ـ ١) .

تراجعت بحركة حادة ، هاتفة :

ـ (ماسو ـ ١) ؟!

أجاب ضاحكًا :

ـ نعم يا سيِّدتى .. (ماسو ـ ١) .. القمر الصناعى الأوَّل ، لشركة (دوماسومى) .. إنه داخله الآن ، يدور حول الأرض للأبد .

التقطت نفسًا عصبيًّا طويلاً من سيجارتها ، وهى تسأله :

ـ هل أرسلوا جثته إلى القمر الصناعى ؟!

لوَّح بسبَّابته نفيًا ، قبل أن يقول فى حماس :

ـ بل أرسلوه حيًّا إلى الفضاء يا سيِّدتى .. تخيَّلى ما سيصيبه هناك ، دون زىٍّ فضائى ، و ...

قاطعته فى ثورة :

ـ أغبياء ..

تراجع هاتفًا :

ـ ماذا ؟!

صرخت فيه :

ـ كان ينبغى أن يقتلاه أولاً .. أليس هذا نفس ما اعترض عليه ذلك الأمريكى المأفون ، عندما ألقيته حيًّا من الطائرة ؟! لقد كان موته يبدو محتومًا عندئذ ، ولكن ها هوذا يعود ، ويقاتل ، ويكاد ينتصر ، لولا مصادفة سخيفة .

قال الروسى فى ارتباك :

ـ ولكنه فى الفضاء بالفعل الآن يا سيِّدتى .. لا أحد يمكن أن ...

قاطعته ثائرة :

ـ لا تردِّد هذه العبارة الحمقاء على مسامعى مرة أخرى أبدًا .. هل تفهم ؟!

انكمش فى مقعده ، وأحنقه ظل الابتسامة الساخرة ، التى نقلتها إليه مرآة السيارة ، من شفتى السائق ، وهو يتمتم :

ـ أفهم يا سيِّدتى .. أفهم .

التقطت هى نفسًا عميقًا من سيجارتها ، ونفثته فى فراغ السيارة ، قبل أن تقول فى لهجة آمرة صارمة :

ـ لا يوجد سوى سبيل واحد ، لإزالة كل أثر للشك .

ثم التقطت هاتفها الدولى المحمول ، وضغطت أزراره فى سرعة ، ولم تكد تسمع صوت محدثها ، حتى قالت فى صرامة غاضبة :

ـ أنا (سونيا) يا (أوكونور) .. هل الأخبار التى بلغتنى ، بشأن (أدهم صبرى) ، صحيحة ؟!

أجابها فى حدة :

ـ نعم .. صحيحة يا سيدتى .. أنت المسئولة عن بقائه على قيد الحياة .

صاحت به :

ـ وماذا عما فعلته أنت و(ماسومى) .. لقد تصرفتما كمراهقين سخيفين ، يسعيان للتميز ، دون أن يدركا حقيقة ما يفعلانه .. لماذا لم تقتلاه على الفور ؟!

أجابها غاضبًا :

ـ ربما كنا نحتذى بك .

احتقن وجهها ، وهى تقول :

ـ هاأنتذا تواصل أسلوب المراهقين يا (أوكونور) .

أتاها صوت (ماسومى) هذه المرة ، وهو يقول :

ـ اغفرى لصديقى (سام) يا سيدتى ، فأعصابه مازالت ثائرة ، منذ حدث ما حدث ، ثم إننى المسئول الأول عن الأمر كله ..

همت بالانفجار غاضبة ، لولا أن استدركه فى سرعة :

ـ ولكن اطمئنى .. لقد تأكدت من كل شىء بنفسى .

قالت محنقة :

ـ وكيف هذا أيها العبقرى ؟!

أجابها فى زهو واضح :

ـ الرجل كان فاقد الوعى يا سيدتى ، ولقد حقنته بنفسى بعقار مخدر قوى ، لا يمكن أن يستيقظ منه ثور ، قبل ثلاث ساعات على الأقل ، ثم وضعناه فى صندوق المعدات ، وأحكمنا إغلاق الصندوق جيدًا ، ثم نقله (بيركينز) و(يوتا) إلى حيث مكوك الفضاء مباشرة .. لذا أقول لك بكل ثقة : اطمئنى يا سيدتى .. كل شىء سار على ما يرام ، وبطلك المصرى يدور حول الأرض الآن ..

ثم أطلق ضحكة ساخرة ، قبل أن يستطرد :

ـ حاولى تخيُّل ما سيصيبه ، مع انخفاض الضغط ، وغياب الأكسجين ، وهو لا يرتدى زيًّا فضائيًّا وقائيًّا !

انعقد حاجباها بضع لحظات ، ثم قالت فى صرامة :

ـ افحصوا كل الرجال يا (ماسومى) .. افحصوا بصماتهم .. وجوههم ، أو حتى مسامهم العرقية .. المهم أن تتأكدوا من أن (أدهم) لا ينتحل هيئة أحدهم .

ضحك (ماسومى) مرة أخرى ، قبل أن يقول :

ـ إننا نفعل هذا الآن يا سيِّدتى .. الكل يخضع للفحص ، وبالذات أقرب الرجال إلينا .. (بيركينز) و(يوتا) .

صمتت لحظة ، ثم سألته فى صرامة أكثر :

ـ وماذا عنك ، وعن (أوكونور) ؟!

أتتها شهقة استنكار من الأمريكى ، قبل أن يهتف :

ـ هل ستخضعيننا للفحص أيضًا ؟!

أجابته فى صرامة مخيفة :

ـ الجميع بلا استثناء يا (أوكونور) .

انطلق منه هتاف محتج ، ولكن (ماسومى) اختطف الهاتف منه ، قائلاً :

ـ سنخضع جميعنا للفحص يا سيِّدتى .. جميعنا بلا استثناء .. هذا وعد .. لن نسمح للمشاعر الشخصية قط بإفساد عملنا ، وخاصة فى هذه الساعات الأخيرة ، التى ...

عاد (أوكونور) يختطف منه سمَّاعة الهاتف ، قائلاً فى حدة :

ـ لماذا غادرت قصرك ؟! ومن أين تتحدَّثين الآن ؟!

انعقد حاجباها فى غضب شديد :

ـ لقد أصبحت سخيفًا بالفعل يا (أوكونور) .

هتف فى غضب مماثل :

ـ إننا شركاء .. أليس كذلك ؟! ألا ينبغى أن يعلم كل منا أين شريكه ، فى كل لحظة ، ما دامت الأمور مشتعلة إلى هذا الحد ؟!

بلغ صوته مسامع (مالينوفيتشى) ، الذى تمتم فى حذر :

ـ أظنه على حق .

ازداد انعقاد حاجبيها أكثر وأكثر ، وهى تزن الأمر فى رأسها جيِّدًا ..

إنهم شركاء بالفعل ..

وهى لا ترغب فى خسارتهم ..
فى هذه اللحظات الأخيرة على الأقل ..
ومن حق (أوكونور) أن يعلم أين هى ..
ومن أين تتحدَّث ..
هذا لو أنه (أوكونور) الحقيقى ..
وفى حزم ، وفور أن قفزت الفكرة إلى رأسها ، أجابت (أوكونور) :
ـ هذا صحيح يا (سام) .. من حقك أن تعلم ، ولكن بعد اتخاذ كل الاحتياطات اللازمة .
غمغم فى عصبية :
ـ أية احتياطات ؟!
أجابته فى صرامة :
ـ أن يتم فحصك ، وفحص الهاتف الذى تتحدَّث منه أولاً .
قالتها ، وأنهت المحادثة فى عنف ، دون أن تمنحه الفرصة للرد ، قبل أن تلتفت إلى (مالينوفيتشى) ، قائلة فى صرامة :
ـ يبدو أننا سنضطر للتحرك بسرعة أكبر ، قبل أن تسرى النيران فيما بيننا ، وتحرق العملية كلها قبل الأوان .
ثم أشارت إليه ، مستطردة بلهجة آمرة :

ـ أجر اتصالك بالجنرال (ميلوسكى) .. سيتم تعديل جدول الخطة الرئيسى .
التقط (مالينوفيتشى) هاتفه المحمول فى سرعة ، وضغط أزراره ، وهو يقول فى توتر :
ـ أمرك يا سيِّدتى .. أمرك .
رفع الهاتف إلى أذنيه ، وراح يستمع إلى رنينه المتواصل لبعض الوقت ، قبل أن يقول فى عصبية :
ـ عجبًا ! لماذا لا يجيب ؟! إنه يستجيب للنداء عادة ، مع الرنين الأوَّل ، و ...
قبل أن يتمّ عبارته ، انقضَّت (سونيا) على الهاتف الذى يحمله ، وانتزعته من يده فى عنف ، على نحو جعله يطلق شهقة قوية ، فى نفس اللحظة ، التى وضعت هى فيها الهاتف الصغير على أذنها ، وراحت تستمع إلى الرنين بضع لحظات أخرى ، وقد انعقد حاجباها فى شدة ، ثم لم تلبث أن أغلقت الهاتف ، وهى تسأله فى صرامة :
ـ أكان يستجيب فى كل مرة ، مع الرنين الأوَّل ؟!
أجابها (مالينوفيتشى) فى توتر شديد :
ـ نعم يا سيِّدتى .. فى كل مرة .
سألته فى صرامة أكثر :



وراحت تستمع إلى الرنين بضع لحظات أخرى ، وقد انعقد حاجباها فى شدة ..

ـ بلا استثناء ؟!

تمتم بتوتر بالغ :

ـ نعم يا سيدتى .. بلا استثناء .

خُيِّل إليه أن عينيها قد تألقتا ببريق وحشى ، جفت له الدماء فى عروقه ، قبل أن تقول فى صرامة مخيفة :

ـ قل لكل رجالك أن يستعدوا يا (مالينوفيتشى) ، فسننطلق على الفور إلى الهدف .

سألها فى قلق عصبى :

ـ الهدف ؟! أى هدف ؟!

أشاحت بوجهها ، وتطلعت إلى خيط رفيع من الضوء ، يعبر السماء المظلمة ، عبر نافذة السيارة ، وهى تجيب بنفس الصرامة المخيفة :

ـ (سيبيريا) .

نطقتها ، وعيناها لا تفارقان ذلك الخيط المضىء ، الذى يحدد مسار قمر (ماسو ـ ١) الصناعى ، وهو يعبر سماء (موسكو) ..

ذلك القمر ، الذى يفترض أن يحمل فى أعماقه أقوى رجل مخابرات فى العالم ..

بلا استثناء .

★ ★ ★

٢- الفقيد ..

« كل شىء جاهز للسفر .. » .

نطق رجل المخابرات المصرى العبارة ، وهو يسير إلى جوار المحفة ، التى تحمل (منى) ، إلى طائرة طبية مصرية خاصة ، فى مطار (نيويورك) ، ثم لوّح بيده الممسكة بجواز سفرها ، وهو يتابع فى اهتمام :

- ستقلع الطائرة على الفور ، وستصلين إلى (القاهرة) بعد اثنتى عشرة ساعة من الآن ، وخلال الرحلة سيتولى طبيب متخصص وممرضتان العناية بك ، و ...

قاطعته باكية :

- وماذا عن (قدرى) ؟! هل سنتركه هنا ، بعد أن .. أن ...

عجزت عن إتمام العبارة ، فانهمرت الدموع من عينيها فى غزارة ، ودفنت وجهها بين كفيها ، فربّت رجل المخابرات على كتفها ، قائلاً :

- مصرع (قدرى) لم يثبت بعد .

قالت فى مرارة :

- وماذا عن تقرير المستشفى ؟!

صمت لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

- ذكر أبيض بدين .. إلخ ... إلخ ... مجرّد تقرير ، لا يعنى بالضرورة أن القتيل هو (قدرى) نفسه .

وتنهّد لحظة أخرى ، ثم استطرد :

- وعلى أية حال ، لقد ذهب زميل لنا بنفسه ؛ ليستوضح الموقف .. وسيلقى نظرة على جثة ذلك البدين .

وابتسم ، متابعًا فى تعاطف :

- اطرحى أنت كل هذا عن ذهنك ، فمازلت بحاجة للعلاج والراحة ، والهدوء النفسى .

ابتسمت فى سخرية مريرة ، وهى تقول :

- الهدوء النفسى ؟! أى هدوء نفسى هذا ، الذى تتحدث عنه ، فى مثل هذا الموقف ؟! إننى مصابة بشدة ، على نحو أجبرنى على الخروج من المعركة ، فى الوقت الذى تشير فيه كل الدلائل إلى أن (قدرى) قد لقى مصرعه ، والاتصال مع (أدهم) مقطوع ،

ولا أحد يدرى أين هو الآن ، والأمور كلها محبطة للغاية .. (السنيورا) أطلقت قنبلتها الذرية الأولى ، وأطلقت معها إنذارها بالسيطرة على العالم ، و(سونيا جراهام) عادت إلى الساحة ، بمنتهى العنف والقسوة .. قل لى يا رجل : هل يمكن لشخص ، تحت تأثير مخدِّر قوى ، أن يحظى بالهدوء النفسى ، فى ظل هذه الظروف والملابسات ؟!

تنهَّد رجل المخابرات ، مغمغمًا :

- أنت على حق .

ثم مال نحوها ، مستطردًا :

- ولكنها حياتنا .. ولكنه عملنا .. إننا جنود محترفون يا (منى) .. ارتضينا العمل فى جهاز مخابرات وطننا ، لنواجه كل متاعب ومخاطر الدنيا ، من أجل أمن وسلامة هذا الوطن .. والشىء الذى ندركه جميعًا ، والذى انغرس فى كياننا حتى النخاع ، هو أن الأمر لا يمكن أن يتوقَّف لحظة واحدة ، عند آلامنا وأحزاننا .. إنه يتجاوز كل المشاعر النفسية والشخصية ؛ لأن الهدف يعلو عليها .. بل يعلو على حياتنا نفسها .. هل تعلمين لماذا ؟!

تطلعت إلى عينيه مباشرة ، دون أن تنبس ببنت شفة ، وارتفعت أصابعها ، دون وعى منها ؛ لتمسح الدموع المنسابة على وجنتيها فى صمت ، وهو يتابع فى حزم :

- لأن الهدف هو (مصر) .. أمن وأمان وسلم وسلامة (مصر) يا (منى) .

شعرت بقلبها ينتفض بين ضلوعها ، وبخدر عجيب يسرى فى عروقها ، ورجل المخابرات المصرى يعتدل ، قائلاً لمن حوله :

- اسهروا على راحتها جيدًا .

ولم تدر ما الذى فعله بها بالضبط ..

إنها المرة الأولى ، التى تلتقى فيها به ..

بل إنها لا تعرف حتى اسمه الحقيقى ..

وعلى الرغم من هذا ، فهى تشعر بالثقة والارتياح ، تجاه كل حرف نطق به ..

هذا حقيقى ..

كفتاة مخابرات محترفة ، لا يحقَ لها أن تتوقَّف طويلاً ، عند محطات أحزانها الخاصة ..

بل لا ينبغى أن تتوقَّف إطلاقًا ..

هذا لأن الخطر لن يتوقَّف لحظة واحدة ، مهما كانت الأسباب ..

بل ولن يشعر بوجودها كله ..

إلا كمقاتلة شرسة ..

من أجل (مصر) ..

وبينما كانت محفتها تصعد إلى الطائرة ، وعلى الرغم من كلّ آلامها وأحزانها ، امتلأت نفسها بحماس عجيب ..

حماس أنساها كل شىء ، وأىّ شىء ..

سوى (مصر) ..

وعندما ألقت نظرة أخيرة على سماء (نيويورك) ، قبل أن تحلّق بها الطائرة ، انزاحت كل الأفكار من كيانها كله ، لتحلّ محلّها صورة واحدة ..

صورة (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

* * *

فجأة ، استعاد (أدهم) وعيه ..

لم يستعده كاملاً ، ولكنه بدأ يشعر بما حوله تدريجيًا ..

كان مسجونًا داخل صندوق كبير ، أشبه بالتابوت ، وقد قُيِّد معصماه بأغلال معدنية قوية ، فى حين أحاط حبل سميك بكاحليه ، وثبّته إلى قاع الصندوق فى إحكام ..

وكان الصندوق كله يرتجّ فى هدوء ، كما لو أنه داخل سفينة مبحرة ، أو أن بعضهم ينقله من مكان إلى آخر ..

ومن المؤكد أنه كان هناك نقص واضح فى الأكسجين ، إذ إن أنفاسه راحت تتردّد فى ثقل وصعوبة ، على نحو يوحى بأنها تستهلك آخر ذرّاته ..

ثم فجأة ، توقّف ارتجاج الصندوق ، واستقرّ فى موضعه ، وتعالت فوقه طرقات منتظمة ..

وسرى التوتر فى كل خلية استيقظت ، من جسد (أدهم) ..

وانطلق عقله يتساءل : تُرى أين هو الآن ؟!

ما الذى يحدث من حوله ؟!

تردّدت أسئلته مع الطرقات ، التى امتزجت بهمهمات أشبه بحديث متصل ، بين عدة أشخاص ، و ...

وفجأة ، انفتح غطاء الصندوق ...

ومع انفتاحه ، عاد الأكسجين يتدفَّق فى نعومة ، ليملأ رئتى (أدهم) ، وسطع ضوء قوى فى وجهه ، على نحو أجبره على إغلاق عينيه فى قوة ، فى نفس اللحظة ، التى هتف فيها صوت متوتر :

ـ حمدًا لله .. إنه مازال على قيد الحياة .

امتدَّت أياد عديدة تلتقطه ، من داخل الصندوق ، وتحمله إلى أريكة وثيرة ، ونفس الصوت يواصل :

ـ أحضروا بعض الماء ، وقدحًا من البيرة بسرعة .

لوح (أدهم) بيده ، هاتفًا ، وهو يبذل قصارى جهده ، لاستعادة وعيه كاملاً :

ـ لست أشرب الخمر .

هتف صاحب الصوت :

ـ فليكن .. الماء يكفى .

شعر بيد تربِّت على كتفه ، وأخرى تدنى كوبًا من الماء من شفتيه ، فالتقط الكوب ، وهو يتساءل :

ـ ماذا حدث ؟!

أجابه صوت مألوف باللغة الروسية :

ـ لقد نجوت بأعجوبة يا (أدهم) .

كان الصوت كافيًا ، لينتزع (أدهم) نفسه من كل

ما يحيط بها ، ويفتح عينيه ، متطلعًا إلى صاحب الصوت فى دهشة ، وهو يقول :

ـ أنت هنا ؟! كيف ؟!

ارتسمت ابتسامة باردة ، على وجه رجل المخابرات الروسى ، وهو يقول :

ـ أنت تعلم أن كل شىء ممكن فى عالمنا يا صديقى .

جلس رجل مخابرات أمريكى على طرف الأريكة ، التى يرقد عليها (أدهم) ، وواجهه ، قائلاً :

ـ الزميل (كوربوف) على حق ، على الرغم من أنه ينتمى لجهاز المخابرات الروسى .. لقد نجوت بأعجوبة ، ولولا أن أحد رجالنا يشرف سرًّا على (ماسو ـ ١) ، ويفحص كل ما يتم نقله إليه ، من شحنات ومعدَّات ، لما كشفنا وجودك ، واستبدلنا بذلك الصندوق ، الذى سجنك فيه (ماسومى) ورجاله ، صندوقًا آخر ، أوحى لهم أنك داخل مكوك الفضاء الآن .

نفض (أدهم) ذلك الضباب الهلامى عن رأسه ، وهو يقول فى حذر :

ـ أى مكوك فضاء ؟!

أجابه (كوربوف) بالروسية :

ـ يبدو أن ذلك الوغد اليابانى كان يرغب فى منحك الخلود ، بحيث تظلّ تدور حول الأرض لمائة سنة قادمة .

وابتسم الأمريكى ، قائلاً :

ـ ولكنك نجوت يا مستر (صبرى) .

استعاد (أدهم) ، فى تلك اللحظة ، سيطرته كاملة ، على أفكاره وعقله ، فتطلّع مرة أخرى فى دهشة إلى (سيرجى كوربوف) ، رجل المخابرات الروسى(*) ، وعاد يسأله فى اهتمام :

ـ ماذا تفعل هنا يا (سيرجى) ؟! كنت أتصوّر أنك قد لقيت مصرعك !

ابتسم الروسى ابتسامة باردة ، وهو يجيب :

ـ من الناحية الرسمية فحسب أيها المصرى .

أما الأمريكى ، فأشعل سيجارته ، وهو يقول :

ـ الرفيق (كوربوف) يتعاون معنا بصفة رسمية يا سيِّد (أدهم) .

(*) راجع قصة (سم الكوبرا) .. المغامرة رقم (٥١) .

زمجر (سيرجى) ، قائلاً :

ـ لم نعد نستخدم لقب (الرفيق) هذا .

ارتسمت ابتسامة ساخرة ، على شفتى الأمريكى ، وهو يقول :

ـ لا بأس .. فلنبدلها بالصديق .. هل يريحك هذا ؟!

مطّ (سيرجى) شفتيه أكثر ، دون أن يجيب ، فى حين التفت الأمريكى إلى (أدهم) ، ولوّح بسيجارته ، قائلاً :

ـ أظنك ترغب فى فهم ما يحدث .. ولنبدأ بى .. اسمى (مارك) .. (مارك دونوهان) .

أومأ (أدهم) برأسه متفهمًا ، واسترخى فى مقعده ، كمحاولة لاستعادة صفاء ذهنه ونشاطه ، وهو يقول :

ـ نعم .. (مارك فريدريك دونوهان) .. ضابط سابق بالبحرية الأمريكية ، ومسئول حالى عن النشاط المضاد ، فى المخابرات المركزية الأمريكية .. متزوّج ولديك ثلاثة أطفال .. انتهيت ، منذ شهر واحد ، من دورة يابانية خاصة ، حول التجسُّس الإليكترونى ، وأساليب كسر الشفرة الحديثة .. تاريخ مشرّف يا مستر (دونوهان) .

[م ٣ ـ رجل المستحيل ١٢١ (وجه الأفعى)]

ارتفع حاجبا الأمريكى فى دهشة ، فى حين عقد (سيرجى) حاجبيه الكثين ، قائلاً فى غلظة باردة :

ـ هل اعتدت حفظ ملفات الجميع ؟!

هزَّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يجيب :

ـ لا .. ليس الجميع .

ثم اعتدل فى مجلسه ، مستطردًا فى حزم :

ـ ولكن مستر (دونوهان) على حق .. إننى أرغب فى فهم ما يحدث .

التقط الأمريكى نفسًا عميقًا من سيجارته ، وقال :

ـ (السنيورا) ضربت ضربتها الأولى .

أجابه (أدهم) فى حذر :

ـ أعلم هذا .

أشار الأمريكى بسبَّابته ، وقال :

ـ الشىء الذى لا تعلمه ، هو أن فريقًا من أفضل خبرائنا ، يعمل الآن فى صحراء (نيفادا) ، حيث أطلقت قنبلتها ، فى محاولة لتحديد ما إذا كان ما حدث انفجارًا ذريًا أم لا .. صحيح أن الأجهزة قد رصدت ارتجاجًا مرتفعًا ، ودويًا عنيفًا ، كما تم تأكيد وجود

نشاط إشعاعى فى المنطقة ، ولكن ما زالت هناك نقاط عديدة ، تجعلنا نشكّ فى كونه انفجارًا عاديًا قويًا ، وأن النشاط الإشعاعى قد أضيف لغرض ما .

قال (أدهم) فى اهتمام :

ـ هذا يعنى أن (السنيورا) تسعى لكسب الوقت .

أجابه الأمريكى :

ـ بالتأكيد .. هذا ما توصَّل إليه الجميع ، ولكن الإنذار الرسمى وصل إلى كل الدول بالفعل ، كما أن فريق العلماء الذى لديها ، قادر بالفعل على إنتاج القنابل الذَّرِّيَة ، لو وُضع فى الظروف المناسبة ، ولو أضفنا إلى هذا ما تحصل عليه من دعم مادى ، ومن اتصالات مموليها وسلطاتهم الواسعة ، فسنجد أن الأمر بالغ الخطورة بالفعل ، ولن يجرؤ مسئول واحد على اعتبار ما حدث مجرَّد خدعة ، أو تجاهل إنذارها الصارم ، إلا لو حصل على تأكيد مائة فى المائة بذلك .

انعقد حاجبا (أدهم) فى صرامة ، وهو يقول :

ـ وهذا ما تسعى هى إليه بالضبط .. التردُّد والخوف .. الأمر الذى يمنحها كل ما تحتاج إليه من وقت إضافى ، لتحقيق ضربتها النووية الفعلية ، وبدء برنامج السيطرة على العالم .

هتف (دونوهان) فى حماس :

ـ بالضبط .. هذا ما توصَّلنا إليه بصفة غير رسمية ، ولكن الرؤساء يرفضون الانصياع لوجهة نظرنا هذه ، ويمنعوننا من اتخاذ خطوة حاسمة تجاه الأمر .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يستطرد فى حزم :

ـ ولهذا أنقذنا حياتك يا سيِّد (أدهم) .

ارتفع حاجباه فى دهشة ، ثم لم يلبث أن أطلق ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

ـ آه .. أشكرك لصراحتك .

أجابه (دونوهان) فى صرامة :

ـ دعنا نتعامل بواقعية يا سيِّد (أدهم) ؛ فكل منا يعلم أن أىَّ جهاز مخابرات فى العالم لا يميل إلى وجود شخص متميِّز مثلك ، فى جهاز مخابرات آخر ، فإما أن يسعى لضمه إليه ، أو للتخلُّص منه ، ولو أننا فى ظروف أخرى ، لساعدنا (ماسومى) على إطلاقك حيًّا فى الفضاء ، أما الآن ، فنحن أيضًا فى أمسِّ الحاجة إليك ، لأنك أحد خبيرين لا ثالث لهما ، فى التعامل مع (السنيورا) ، وفيهما يجتمع أملنا الأخير ، فى نجاة العالم من سيطرتها .

ابتسم (أدهم) مرة أخرى فى سخرية :

ـ مزيج من الصراحة والوقاحة تحسد عليه يا (دونوهان) .

ثم سأل فى اهتمام :

ـ ولكن من الخبير الثانى .

زمجر (سيرجى) ، قائلاً :

ـ هل نسيت وجودى ، أم ماذا يا سيِّد (أدهم) ؟!

أدار (أدهم) عينيه إليه فى سرعة ، قائلاً فى سخرية :

ـ ومتى أتت خبرتك فى التعامل معها يا عزيزى (سيرجى) ؟!

التقى حاجبا (سيرجى) الكثين ، على نحو كاد يخفى عينيه الزرقاوين الضيقتين ، وهو يقول :

ـ عندما اكتسبت هذه الخبرة لم تكن تحمل ذلك اللقب ، ولكنها كانت جاسوسة بالغة الخطورة ، وعضوًا فى واحدة من أخطر منظمات الجاسوسية الخاصة ، التى عرفها العالم .

بدا الاهتمام والتساؤل فى عينى (أدهم) ، ووجهه ، وصوته ، وهو يقول :

- منظمات الجاسوسية الخاصة ؟!

أومأ (سيرجى) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

- نعم يا سيِّد (أدهم) .. وأنت سلمتنى إياها بنفسك ، فى (باريس) .. هل تذكر هذا(*) ..

وهنا قفز حاجبا (أدهم) إلى أعلى مداهما ..

الآن فقط تذكر أين سمع ذلك الصوت ..

صوت (السنيورا)(**) ..

والآن فقط أدرك الحقيقة ، وكشف القناع عن وجهها ..

وجه الأفعى ..

* * *

شدّ رجل المخابرات المصرى (عارف) قامته ، أمام موظف الاستقبال ، فى ذلك المستشفى الصغير ، فى طرف (نيويورك) ، وهو يسأله بإنجليزية سليمة :

- أنا (ديريك) .. شقيق مستر (بو) ، ذلك المصاب البدين ، الذى وصل الليلة .

تطلّع إليه موظف الاستقبال طويلاً ، وكأنما يدرس ملامحه جيدًا ، قبل أن يقول بلهجة آسفة مفتعلة :

(*) راجع قصة (الجاسوس) .. المغامرة رقم (٦٣).
(**) راجع قصة (عقارب الساعة) .. المغامرة رقم (١٠٥).

- معذرة يا مستر (ديريك) ، ولكن ما لدى من أخبار لن يسرك أبدًا ، فالواقع أن مستر (بو) وصل فى حالة سيئة للغاية ، و ...

قاطعه (عارف) ، متظاهرًا بالجزع :

- وماذا يا رجل ؟! وماذا ؟!

رمقه الموظف بنظرة أخرى طويلة ، قبل أن يقول :

- إنه لم يحتمل يا مستر (ديريك) .

اتسعت عينا (عارف) عن آخرهما ، وبدا وكأنه لا يحتمل الصدمة ، وهو يتراجع نحو مقعد قريب ، هاتفًا :

- هل تقصد أنه .. أنه ..

أومأ الموظف برأسه ، قائلاً :

- للأسف يا مستر (ديريك) .

ترك (عارف) جسده يسقط ، على أقرب مقعد إليه ، فى مشهد يستحق جائزة (أوسكار) ، ودفن وجهه فى كفيه ، مغمغمًا :

- يا إلهى ! يا إلهى !

ولسبب ما ، لم يبد الارتياح على وجه موظف الاستقبال ، وهو يقول :

- لقد اتخذنا كل الاجراءات اللازمة ، وسيتم عرضه على الطب الشرعى خلال يومين ، و ...

« أريد أن أراه .. » .

قاطعه (عارف) بهذه العبارة المباغتة ، فارتبك الرجل ، مغمغمًا :

- تراه ؟!

ثم بذل جهدًا واضحًا ، للسيطرة على أعصابه ، وليتابع :

- ولكن هذا ضد سياسة المستشفى ، يا سيِّد (ديريك) .. معذرة .. الـ ...

قاطعه (عارف) ، وهو يهبّ من مقعده فى صرامة :

- فلتذهب سياسة المستشفى إلى الجحيم .. لن أغادر هذا المكان ، دون أن ألقى نظرة أخيرة على (بو) .

بدا التوتر على وجه الموظف ، وهو يقول :

- كنت أتمنى مساعدتك يا مستر (ديريك) ، ولكن سياسة المستشفى ...

قاطعه (عارف) بحركة مباغتة هذه المرة ، وهو ينقضّ عليه ، ويجذبه من معطفه فى قوة ، قائلاً :

- اسمع يا هذا .. إننى أشك فى أن ذلك ، الذى لقى مصرعه هو شقيقى (بو) ، والوسيلة الوحيدة للتأكد من هذا ، هى إلقاء نظرة على الجثة .

هتف الموظف ، وهو يحاول التخلص منه فى عنف :

- وكيف علمت أن شقيقك المزعوم هنا ؟! إننا لم نبلغ أحدًا بعد ..

ثم اندفعت يده ، تحاول التقاط مسدس صغير ، من درج مكتبه ، وهو يستطرد فى حدة مذعورة :

- لقد كانوا على حق .. لقد حذرونى من قدومك .

أمسك (عارف) معصمه بقبضة فولاذية ، وتجاوز المكتب بقفزة مدهشة ، وهو يقول :

- أشكرك يا هذا .

ثم أحاط عنقه بساعده ، مستطردًا :

- لقد أكدت شكوكنا .

ظهر حارس أمن المستشفى ، فى هذه اللحظة ، وهو يندفع نحوهما ، ويده تلتقط مسدسه ، ولكن (عارف) دفع موظف الاستقبال إلى الأمام ، ثم قذف به فى قوة ومهارة ، عبر المكتب الخشبى ، ليرتطم بحارس الأمن ، ويسقط الاثنان أرضًا ..



ثم أحاط عنقه بساعده ، مستطردًا :

ـ لقد أكَّد شكوكنا ..

وحاول الحارس أن ينهض من سقطته ، وهو يحمل مسدسه ، ولكن (عارف) وثب نحوه ، وركل المسدس من يده ، قائلاً :

ـ معذرة يا رجل .. أعلم أنك تؤدِّى واجبك ، ولكن ..

ثم اندفعت قدمه الأخرى تركله فى فكه ركلة قوية ، مستطردًا :

ـ أنا أيضًا لى واجبى .

سقط الحارس فاقد الوعى ، فمال (عارف) يلتقط مسدسه فى سرعة ، ثم جذب موظف الاستقبال من شعره فى قسوة ، ليجبره على النهوض ، وغرس فوهة المسدس فى عنقه ، قائلاً فى صرامة :

ـ هيا يا رجل .. سنلقى نظرة معًا على مشرحة المستشفى .

سار الرجل معه فى توتر ، وهو يقول :

ـ لن يمكنك أن تفلت من هذا .. آلات المراقبة التقطت ما حدث حتمًا ، وهم لن يتركوك أبدًا .

دفعه (عارف) أمامه فى خشونة ، وهو يقول :

ـ ومن (هم) ؟!

هتف الرجل فى عصبية :

- إنهم أقوياء ، وأصحاب سلطات واسعة للغاية .. لا أحد يمكنه التصدّى لهم ، أو ...

قاطعه (عارف) فى غلظة ، وهو يدفعه داخل المصعد :

- أهذا ما أقنعوك به ، عندما طلبوا منك أن تفعل ما فعلته ؟!

هتف الرجل مذعورًا ، وهما يهبطان إلى الطابق السفلى ، حيث مشرحة المستشفى :

- أنا لم أفعل شيئًا .. لقد دوّنت الاسم والبيانات فحسب .. كان مجرّد عمل بسيط بمقابل ضخم .

قال (عارف) فى سخرية :

- حقًا ؟! من قتل (بو) إذن ؟!

هتف الرجل ، فى دهشة حقيقية :

- من قتله ؟! يبدو أنك لم تستوعب الأمر جيّدًا يا رجل ..

انعقد حاجبا (عارف) وهو يسأله :

- ماذا تعنى ؟!

أجاب الرجل فى سرعة :

- لا وجود لمستر (بو) هذا .. لم يصل أى شخص

بهذه المواصفات قط إلى هنا .. إنها مجرّد بيانات وهمية فى الكمبيوتر فحسب .. بيانات بلا وجود حقيقى .

وكانت مفاجأة لـ(عارف) ..

مفاجأة حقيقية ..

* * *

« مرحبًا بك هنا يا مستر (أدهم) .. » .

نطق مدير مكتب المخابرات المركزية الأمريكية فى (نيويورك) العبارة[*] ، وهو يصافح (أدهم) فى حرارة ، فابتسم هذا الأخير فى سخرية ، وهو يقول :

- لم أتصوّر قط أن يتمّ الترحيب بى هنا ، بصفة رسمية .

هزّ المدير كتفيه ، وقال :

- للضرورة أحكام يا مستر (أدهم) ، وكلنا نواجه الآن خطرًا مشتركًا ، يحتم أن ننبذ كل خلافاتنا ، ونتحد معًا ، لدرئه عن العالم كله .

جلس (أدهم) ، ووضع إحدى ساقيه فوق الأخرى ، وهو يسأل :

(*) يقع المقرّ الرئيسى للمخابرات المركزية الأمريكية ، فى (لانجلى) بولاية (فرجينيا) .

ـ وما الذى يعنيه هذا الاتحاد فى رأيكم ؟!

قلب المدير كفيه ، قائلاً :

ـ الواقع أن قيادتنا السياسية تكبِّل أيدينا ، فى الوقت الذى تعنى فيه كل دقيقة تمرّ الكثير ، بالنسبة لأمن وسلامة العالم كله .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى حزم :

ـ لذا ، فنحن نحتاج إلى طاقتك وخبراتك ؛ للتصدّى لـ (السنيورا) ، وإحباط مخططها النووى المخيف .

مطَّ (سيرجى) شفتيه ، وكأنما لم يرق له انفراد (أدهم) باهتمام مدير مكتب المخابرات الأمريكية ، وقال فى خشونة :

ـ وما الذى يمكنكم منحنا إياه ؟!

أجابه الأمريكى فى سرعة :

ـ كل ما لدينا من معلومات عن (السنيورا) ، وكل ما نمتلك من تكنولوجيا القتال والاتصالات ، بالإضافة إلى السلاح الوحيد ، الذى يمكنه إلغاء فعالية مشروع (السوبرمان) .

ثم التفت إلى (أدهم) مرة أخرى ، مستطردًا :

ـ لقد استخدمته للفرار من (بوليفيا) .. أليس كذلك(*) ؟!

بدا الاهتمام على وجه (أدهم) ، وهو يقول :

ـ إنها تضحية كبيرة منكم بالتأكيد ، فكشف وسائل مقاومة أسلحتكم الحديثة ليس بالأمر الهيِّن ، وما فعلتموه يؤكِّد مدى احتياجكم لمعاونتنا بالفعل .

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتى الرجل ، وهو يقول :

ـ تأكَّد أيها الزميل من أن هذا السلاح لن يكون فعَّالاً ، مع الطرازات الحديثة من مشروع (السوبرمان) .

ثم لوَّح بيده ، قائلاً :

ـ ولكن هذه ليست قضيتنا .. المهم الآن هو مدى استعدادكما للتعاون معنا ، فى هذه العملية .

أجابه (أدهم) فى حزم :

ـ إننى مستعد لعمل أى شىء فى الدنيا ، من أجل (مصر) .

(*) راجع قصة (عمالقة الجبال) .. المغامرة رقم (١١٧) .

وزمجر (سيرجى) ، قائلاً :

ـ مصلحة (روسيا) فوق مصلحتى الشخصية .

بدا الارتياح على وجه الأمريكى ، وهو يقول :

ـ عظيم .. رائع .. فى هذه الحالة ، علينا أن نتحركَ بأقصى سرعة وألاّ نضيع لحظة واحدة إضافية .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يقول :

ـ ولكن ما زالت لدى بعض الأمور ، التى لا بد من حسمها هنا .

قال الأمريكى فى توتر :

ـ لا وقت لأىّ أمور جانبية يا مستر (أدهم) .. الموقف مشتعل للغاية ، كما لا بد أنك تدرك .. حاول أن تتصرّف كربّان سفينة مسئول عن ركابها .. العالم كله فى خطر .

ازداد انعقاد حاجبى (أدهم) ، وهو يفكّر فى عمق وتوتر ..

الأمريكى على حق تمامًا ..

إنه مثل ربّان السفينة ..

لا يمكنه ، وليس من حقه أن يضحّى بها ، فى سبيل شخص واحد ..

مهما كانت أهمية هذا الشخص ..

حتى ولو كان (قدرى) ..

(قدرى) .. صديقه الوحيد ..

أعز الأصدقاء ..

كم هو إحساس ثقيل بغيض ، ذلك الذى يثقل على أنفاسه وكاهله ..

كم هو مؤلم أن يتخذ مثل هذا القرار ..

وفى حزم صارم ، أجاب :

ـ أحتاج أولاً إلى الاتصال ببعض الزملاء .

ثم لوّح بسبّابته ، مستطردًا :

ـ وهذا يعنى اتصالاً مأمونًا ، نظيفًا .. هل تفهم ؟!

أومأ المدير الأمريكى برأسه ، مغمغمًا :

ـ بالتأكيد .

ثم أشار إلى هاتفه الخاص ، مستطردًا :

ـ يمكنك استخدام هذا الهاتف .. إنه مؤمّن ونظيف ، ولا يتصل بأية أجهزة تسجيل أو مراقبة .

زمجر (سيرجى كوربوف) مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ كل هذا ليس مهمًا .. إنكم تتحدثون عن

التكنولوجيا الغربية ، والأسلحة الحديثة ، وتصفية الأعمال المتعلقة ، وتنسون أهم عامل مطلوب ، فى صراعنا مع تلك (السنيورا) .. تنسون أننا نجهل أين هى بالضبط ؟!

قال (أدهم) ، فى حزم :

- يمكننا معرفة هذا ، عن طريق مموليها (سام أوكونور) ، أو (ماسومى) ، أو ...

قاطعه الأمريكى بلهجة غامضة :

- اترك لنا أمر هؤلاء الأوغاد .. سنتعامل معهم بمعرفتنا .

تطلّع إليه (أدهم) بنظرة شك ، فلوّح بيده ، قائلاً بابتسامة أكثر غموضًا :

- أؤكد لك أنهم ، عندما نفرغ منهم ، لن يصبح باستطاعتهم تمويل (السنيورا) أو غيرها .

انعقد حاجبا (أدهم) مرة أخرى ، فاستدرك الرجل فى سرعة :

- دون الإضرار بالاقتصاد العالمى بالطبع .

ظلّ (أدهم) يتطلّع إليه لحظة فى صمت ، قبل أن ينهض ، قائلاً :

- بقى أن أجرى المحادثة الهاتفية .

هتف (سيرجى) فى حدة :

- لم يجب أحد سؤالى بعد .. أين تلك (السنيورا) ، التى يفترض أن نواجهها بكل خبرتنا هذه ؟!

التفت إليه (أدهم) ، وعقله ينطلق كالصاروخ ، مسترجعًا كل الأحداث ..

كل ما شاهده ..

وسمعه ..

وشعر به ..

وفى توتر ، قال الأمريكى :

- إننا نبذل قصارى جهدنا ، و ...

قبل حتى أن يتمّ عبارته ، كان عقل (أدهم) قد توقّف عند لحظة بعينها ..

عبارة نطق بها (مالينوفيتشى) ، فى المطار ، أمام الطائرة ، التى شهدت اجتماع العمالقة ..

« أرأيت أيها الأمريكى !! أنا بالفعل من يمسك مقاليد الأمور الآن .. »

وتداعت الأفكار فى رأس (أدهم) بسرعة البرق ، انطلاقًا من هذه النقطة ..

ثم تألقت عيناه ، وهو يعتدل فى حزم ، مقاطعًا الأمريكى بقوله :

ـ أنا أعلم أين هى يا (سيرجى) .

وكان قوله هذا أشبه بقنبلة ..

قنبلة انفجرت فى المكان كله ..

وبمنتهى العنف .

★ ★ ★



٢ـ موسكو ..

تهاوى جفنا (دى مال) فى تهالك ، فتركهما يسبلان على عينيه ، وهو يسترخى فى مقعده ، مغمغمًا :

ـ لم أعد أستطيع .

ارتبك رفيقه (جولهى) ، ولكزه بمرفقه ، داخل المعمل المشترك الكبير ، وهو يهمس مذعورًا :

ـ استيقظ يا رجل ، وعد إلى عملك .. ألا تدرك أنها تراقبنا ؟!

فتح (دى مال) عينيه فى صعوبة ، هاتفًا فى حنق :

ـ إننا بشر .. لا يمكننا أن نعمل طوال الوقت .. إنتاج القنابل الذرية لا يمكن أن يتمَّ بهذه الصورة الحيوانية .. إنها تقتلنا بأسلوب بطىء .

تبادل (استروتيسكى) و(بولانسكى) نظرة هلعة ، قبل أن يقول الأوَّل فى عصبية :

- الوقت أضيق من أن نضيعه فى الشجار يا (دى مال) .. (السنيورا) تريد الانتهاء من إنتاج قنبلتها الأولى صباح الغد ، وهذا يعنى أن أمامنا عشرين ساعة فحسب .

لوَّح (دى مال) بذراعه كلها ، صائحًا :

- عشرون ساعة أو عشرون دقيقة .. لم يعد هذا يهمّ ؛ فليس باستطاعتى الاستمرار ، فى كل الأحوال .

صاح (بولانسكى) :

- اصمت أيها الفرنسى .. اصمت وإلا أوديت بنا جميعًا :

ابتسم (دى مال) فى سخرية عصبية ، وقال :

- ها .. وهل تعتقد أن مصيرنا هو النعيم فى النهاية ؟! إنها ستقتلنا جميعًا بلا رحمة ، عندما تحقق أهدافها .

« تفكير غبى يا (دى مال) .. »

انطلقت العبارة بغتة ؛ لتخترق أذنيه ، فانتفض جسده كله فى عنف ، وهو يتلفت إلى مدخل المعمل ، الذى وقفت عنده (السنيورا) ، بسيجارتها الطويلة بين شفتيها ، متابعة فى لهجة صارمة جافة :

- عندما أحقق أهدافى ، ستصبح حياتكم أكثر أهمية بالنسبة لى .

جفّت الدماء فى عروقه ، وهو يتابعها ببصره ، عندما تقدّمت نحوه ، وخلفها (لورانزو) بمدفعه الآلى ، وجلست على أقرب مقعد إليه ، مستطردة :

- فحتى الأسلحة النووية تحتاج لمن يرعاها ويصونها ، ويعمل على تحديثها طوال الوقت .

غمغم فى عصبية :

- العالم كله سيصبح عندئذ تحت سيطرتك .

هزّت كتفيها ، ونفثت دخان سيجارتها ، قائلة :

- وماذا فى هذا ؟ منذ بدء التاريخ المعروف ، والعالم دائمًا تحت سيطرة شخص ما ، أو قوة ما .. (الاسكندر)[*] .. (قيصر)[**] .. (نابليون)[***] ..

(*) (الاسكندر الأكبر) ٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م : ملك (مقدونيا) ، ابن (فيليب الثانى) ، وتلميذ (أرسطو) ، أخضع الثورات فى المدن الإغريقية ، وغزا (مصر) ، وأطاح بالإمبراطور الفارسى (داريوس الثالث) ، يعتبر من أعظم القوّاد وأبرز الشخصيات فى التاريخ .

(**) (يوليوس قيصر) ١٠٢ - ٤٤ ق.م : سياسى رومانى ، وواحد من مشاهير القادة العسكريين فى التاريخ ، اشترك فى الحكومة الثلاثية الأولى مع (بومبى) ، ثم لم يلبث أن انقلب عليه ، وتعقبه إلى (مصر) ، وعندما عاد إلى (روما) تحوّل إلى الديكتاتورية ، حتى اغتاله خصومه .

=

(هتلر)[*] .. أو حتى (كلينتون) نفسه[**] .. دائمًا هناك من يفرض رأيه وإرادته ، وكل ما سيحدث ، مع إطلاق مشروعى النووى ، هو عملية انتقال للسلطة فحسب .. كل شىء سيبقى على ما هو عليه ، باستثناء القيادة .. وهى ليست أول مرة فى التاريخ يحدث فيها هذا ، فقديمًا كانت القيادة للفرس والروم ، ثم للعرب ، ومن قبلهم (روما) و(إسبرطة) ، وبعدهم (تركيا) و(انجلترا) و(فرنسا) ، ثم انتهت الحرب العالمية الثانية ، لتنتقل السلطة إلى (أمريكا)

=(***) (نابليون بونابرت) ١٧٦٩ ـ ١٨٢١ م : إمبرطور (فرنسا) ، وقائد الحملة الفرنسية على (مصر) ، وُلِدَ فى (كورسيكا) ، وعُيِّن قائدًا للحملة الإيطالية ، وبعد عودته من (مصر) أسقط حكومة الإدارة ، وأصبح قنصلا ، ثم إمبراطورًا ، وهُزِمَ فى معركة (ووترلو) ، وتم نفيه حتى مات فى جزيرة (سانت هيلانة) .

(*) (أدولف هتلر) ١٨٨٩ ـ ١٩٤٥ م : ديكتاتور (ألمانيا) ، وزعيم الحزب النازى ، ومؤسس الرايخ الثالث ، أدت سياسته إلى قيام الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م ، التى انتهت بهزيمة (ألمانيا) وانتحاره .

(**) (ويليام كلينتون) ١٩٤٦ م : الرئيس الثانى والأربعون للولايات المتحدة الأمريكية ، انتخب عام ١٩٩٢ م ، بعد أن نجح خمس مرات كحاكم لولاية (أركنساس) ، وهو خريج جامعة (جورج تاون) بالعاصمة (واشنطن) .

و(روسيا) ، وانهارت الأخيرة لتبقى الأولى وحدها على العرش ، والآن سأنتزعه أنا .. إنها الدورة الطبيعية للتاريخ يا رجل .

عضّ (دى مال) شفتيه ، وهو يقول :

ـ كل من ذكرت ، انتهى بهم الأمر بكارثة .. (الاسكندر) مات شابًا ، و(قيصر) اغتاله أقرب الناس إليه ، و(نابليون) قضى نحبه مهزومًا فى منفاه ، أما (هتلر) فقد انتحر حبيسًا كالفأر فى وكره فى (برلين) والروس يحاصرونه من كل صوب ، والرئيس الأمريكى أيامه فى الحكم محدودة مهما امتدّت .

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تقول فى صرامة :

ـ يبدو أنه ما من سبيل لإقناعك .

ثم هبَّت من مقعدها فجأة ، وألقت سيجارتها بكل قوتها ، إلى ركن المعمل ، مستطردة فى حدة :

ـ إلا القوة .

لم تكد تنطق عبارتها الأخيرة ، حتى رفع (لورانزو) فوهة مدفعه الآلى نحو (دى مال) ، الذى احتقن وجهه فى شدة ، وهتف :

- هل تقصدين قتلى يا (سنيورا) ؟!

وجذب قميصه فى حدة ، ليكشف صدره أمامها ، صارخًا :

- هيا .. افعلى .. أطلقى النار علىَّ مباشرة .

مطّت شفتيها فى غضب ، قائلة :

- أنت تعلم أننى أحتاج إليك ، ولا يمكننى أن أفعل هذا بك يا(دى مال) .

ثم التفتت إلى (لورانزو) ، مستطردة فى صرامة :

- أين (برجيت دى مال) الآن ؟!

امتقع وجه العالم الفرنسى ، و(لورانزو) يجيب فى سخرية :

- فى منزل (بيير) فى (باريس) .

أشعلت سيجارة أخرى ، وهى تتطلع إلى (دى مال) ، قائلة :

- لو لم يتفضَّل السيِّد (دى مال) بمواصلة العمل على الفور ؛ لإنتاج قنبلتى الذرية الأولى ، خلال العشرين ساعة القادمة ، أبلغ (بيير) أن يضعها داخل ذلك الصندوق المعدنى ، ويصب عليها الأحماض المركزَّة ، التى أرسلناها إليه .

هتف (دى مال) :

- أيتها المتوحِّشة .

ابتسمت فى سخرية ، وهى تنفث دخان سيجارتها ، متابعة :

- قل له : أن يحافظ عليها حية مستيقظة ؛ حتى تشعر بكل قطرة من الأحماض ، وهى تلتهم جسدها الجميل .

قالتها ، والتقطت نفسًا عميقًا آخر من سيجارتها ، ثم قالت فى صرامة :

- عشرون ساعة فقط يا (دى مال) .. هل تفهم ؟!

ودارت على عقبيها ، لتغادر المكان كله ، بمنتهى الثقة والصلف ، تاركة العالم الفرنسى خلفها يرتجف فى انفعال ، قبل أن يستدير إلى أجهزته ، والدموع تغمر عينيه ووجهه ، ليواصل عمله بمنتهى الصمت ..

والاستسلام ..

والمرارة ..

* * *

« (ن - ١) فى طريقه الآن إلى (موسكو) .. »

نطق مدير المخابرات العامة المصرية العبارة ،

وهو يطالع البرقية الشفرية ، التى وصلته من (نيويورك) ، قبل أن يضعها أمامه على مائدة الاجتماعات ، ويرفع عينيه إلى وجوه رجاله ومساعديه ، مستطردًا :

- لقد قبل مبدأ التعاون مع الأمريكيين والروس ، ضد (السنيورا) ، وهو الآن بصحبة (سيرجى كوربوف) ، رجل المخابرات الروسى ، الذى تعرفونه جميعًا ، و(كيفين بلاك) ، رجل مخابرات أمريكى ، متخصص فى العمليات الخارجية العنيفة ، وثلاثتهم واثقون من أن (السنيورا) تتخذ وكرها الجديد فى مكان ما ، فى (روسيا) ، وأن مفتاح السر كله يكمن فى (إيفان مالينوفيتشى) .

تساءل أحد الرجال فى قلق :

- لو أن هذا صحيح ، فلماذا يتعاون الروس مع الأمريكيين ومعنا ؟! إنهم لن يتورّعوا عن اعتقال (مالينوفيتشى) ، على الرغم من ثروته وسلطاته ، ولديهم من الأساليب ما يكفى لإنطاق الحجر .

هزّ المدير رأسه ، قائلاً :

- ليس فى هذه المرحلة .. لقد اتضح لهم ، كما

اتضح لنا ، أن (مالينوفيتشى) هو أحد مموّلى ومعاونى (السنيورا) ، بعد أن أطلقت الأخيرة إنذارها بالفعل ، والاقتراب منه الآن أصبح بنفس خطورة محاولة الاقتراب منها .. لا أحد يمكنه استنباط أو تخمين رد الفعل .. لذا فلابد من الحذر ، كل الحذر ، حتى تتضح الأمور كلها .

سأل رجل آخر :

- وما الذى يمكن أن يفعله سيادة العميد (أدهم) هناك ؟!

ابتسم المدير ، قائلاً :

- (أدهم) يمكنه فعل الكثير ، فى أى زمان ومكان .

ثم أشار بسبّابته ، مستطردًا فى اهتمام :

- ولكن هناك أمورًا أخرى مازالت تقلقه بشدة ، ففى اتصاله الهاتفى الوحيد برجالنا فى (نيويورك) ، أوصاهم ببذل قصارى جهدهم ؛ لمعرفة مصير (قدرى) ومكانه ، وطلب منا استقبال (منى) فى المطار ، ومنحها كل العناية والرعاية اللازمتين ، كما أجرى اتصالاً بمؤسسة (أميجو) ، وأمرهم بالإشراف على علاج (بترو) ، وبألا يبخلوا بأىّ مصروفات فى هذا الشأن .

سأل رجل ثالث :
ـ وماذا عن الأربعة الكبار ؟!
تنهَّد المدير ، وقال :
ـ (ن ـ ١) قال : إن الأمريكيين سيتولَّون هذا الأمر بمعرفتهم .
وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد فى قلق :
ـ ولكن ما ينطبق على (مالينوفيتشى) ينطبق على (أوكونور) و(ماسومى) ، و(كريستوفرسن) أيضًا .. لا أحد يمكنه المساس بهم فى الوقت الحالى ، حتى تتضح الصورة كاملة ؟
ران الصمت على الجميع بضع لحظات ، وهم يتطلَّعون إلى بعضهم ، قبل أن يقول أحدهم فى حزم :
ـ إذن فقد أصبح كل شىء متوقِّفًا على ما سيحدث هناك .
وأدار عينيه فى وجوههم جميعًا ، قبل أن يضيف :
ـ فى (موسكو) ..
وكان على حق تمامًا ..
كل شىء أصبح يتوقَّف على ما سيحدث هناك .. فى (موسكو) ..

★ ★ ★

انطلقت ضحكة ظافرة عالية ، من بين شفتى (مالينوفيتشى) ، وهو يلوِّح بيده ، قائلاً :
ـ أرأيت يا سيِّدتى .. الأمريكيون أعلنوا أن أجهزتهم كشفت وجود جثة لرجل مجهول ، داخل مكوك الفضاء ، الذى كان يحمل القمر الصناعى (ماسو ـ ١) إلى الفضاء ، وهم يعتقدون أنه أحد العاملين بالمشروع ، أصابته غيبوبة ما ، وهو يتمّ أعماله هناك .. إنه الخبر الذى كنا ننتظره ، للتأكد من مصرع رجل المخابرات المصرى .. أليس كذلك ؟!
انعقد حاجبا (سونيا) التى نفثت دخان سيجارتها فى توتر ، وهى تقول :
ـ هذا ليس دليلاً كافيًا .
تلاشت ابتسامة (مالينوفيتشى) ، وتحولت إلى دهشة كبيرة ، وهو يقول فى حيرة :
ـ ليس دليلاً كافيًا ؟! أى دليل تنشدين إذن يا سيِّدتى ؟!
أجابته فى خشونة :
ـ دعك من هذا الآن ، وأخبرنى .. هل أعددت كل ما طلبته منك ؟!
استعاد حماسه ، وهو يلوِّح بسبَّابته ، قائلاً :

ـ كل شىء على خير ما يرام يا سيِّدتى .. مائة مقاتل من رجال القوات الخاصة السابقين ، بكل عتادهم وأسلحتهم ، مع عشر طائرات هليوكوبتر مقاتلة ، كلها تنتظرك فى (ياكوتسك) ، التى ستحملك إليها طائرتى الخاصة على الفور ، وستصلين هناك بعد ثمان ساعات تقريبًا ، وفور وصولك سيكون الجميع على استعداد للانطلاق إلى ذلك المفاعل النووىّ فى (سيبيريا) .. الرحلة إليه ستستغرق ساعتين أخريين ، وبعدها يصبح كل شىء تحت سيطرتنا .

وأطلق ضحكة قصيرة ، قبل أن يستطرد :

ـ أراهن على أن (السنيورا) لا تتوقَّع هذه الحرب المباغتة .

مطَّت شفتيها ، مغمغمة :

ـ لا تراهن على هذا .

ثم أطفأت سيجارتها ، مستطردة فى لهجة آمرة :

ـ ابق هنا ، ولا تغادر مكتبك ، حتى أجرى اتصالاً بك من (ياكوتسك) .. هل تفهم ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ اطمئنى يا سيِّدتى .

اندفعت تغادر المكان ، متابعة فى صرامة :

ـ واصل الاتصال بالجنرال (ميلوسكى) .

لوَّح بيده ، مغمغمًا :

ـ سأفعل .

أغلقت الباب خلفها فى قوة ، فابتسم متمتمًا :

ـ يا لها من امرأة !

واتجه إلى نافذة مكتبه ، ليراقبها وهى تعبر مدخل الشركة ، تحت الجليد المنهمر ، ثم تقفز داخل سيارته الخاصة ، التى انطلقت بها على الفور ، واتسعت ابتسامته ، وهو يغمغم :

ـ أراهن على أنها ستكون مفاجأة مذهلة .

عاد إلى المقعد الوثير خلف مكتبه ، والتقط سيجارًا كوبيًا فاخرًا ، أشعله فى بطء واستمتاع ، وهو يتمتم :

ـ إنها أفضل صفقة قمت بها ، فى حياتى كلها .

أغلق عينيه ، وهو ينفث دخان سيجاره فى بطء ، ويسترخي فى مقعده ، مطلقًا لأحلامه العنان ..

لقد حقق كل طموحاته تقريبًا ، منذ بدأ الانفتاح الاقتصادى ، بعد سقوط الاتحاد السوفيتى ..

اخترق حاجز الفقر ، الذى عاش فيه طويلاً ، وقرَّر أن يقتحم عالم الثراء ، بكل قوته وعنفه ..
وبكل الوسائل الممكنة ..
المشروعة ، وغير المشروعة ..
السرقة ..
القتل ..
تجارة العملة ..
والأسلحة ..
وحتى المخدرات ..
ولم تمض سنوات خمس ، حتى تربَّع على عرش المال والاقتصاد فى (موسكو) ..
ثم فى (روسيا) كلها ..
ولأنه لا سقف لطموح الباحث عن العلم أو المال ، فقد تفتَّحت شهيته للمزيد ..
والمزيد ..
ولأن المال يشترى المال ..
والسلطة ..
وحتى القانون ..
فقد تطوَّرت تجارته واستثماراته ، فى كل الاتجاهات ..

حتى غير المشروعة منها ..
اتسعت تجارة المخدرات ، حتى شملت (آسيا) كلها ..
ونشطت تجارة السلاح ، إلى حد إشعال الحروب والمنازعات ، فى كل أنحاء العالم ..
ونمت الملايين أكثر وأكثر ..
وتحوَّلت إلى مليارات ..
وعلى الرغم من هذا ، فلم تنته شراهته لجمعها أبدًا ..
حتى ظهرت (سونيا) ..
فى البداية ، كانت أحد الوسطاء الكبار ، فى تجارة السلاح ..
ثم لم تلبث أن طرحت مشروعها النووى ..
وواجهته بكل ما تملكه من أدلة ، يمكن أن تقوده فى لحظة إلى حبل المشنقة ..
ولم يكن أمامه خيار ..
أو بديل ..
لذا فقد انضمَّ إليها ..
أو بمعنى أكثر دقة ، انطوى تحت جناحها ..

وصار أحد مموِّلى مشروعها النووىّ العملاق ، الذى تحمَّلت (السنيورا) كل مخاطره ، دون أن تدرى أنها مجرَّد قطعة شطرنج ، فى رُقعة تديرها (سونيا جراهام) بمهارة مذهلة ، وخبرة مدهشة ، وبراعة لا مثيل لها ..

حتى مع الخسائر ، التى توالت فى البداية ..

وحتى مع ظهور (أدهم صبرى) ، كانت الصفقة رابحة ..

هذا لأن النتيجة المنتظرة هى السيطرة على العالم كله ..

على أمنه ..

وموارده ..

واقتصاده ..

السيطرة على مليارات ، لا حصر لها ، و ...

« لدينا زائران يا سيِّد (مالينوفيتشى) .. »

انتزعته العبارة من أفكاره وأحلامه ، فاعتدل فى مجلسه بحركة حادة ، وتطلَّع إلى جهاز الاتصال الداخلى ، الذى انبعث منه الصوت ، وهو يسأل فى عصبية :

ـ زائران ؟! أىّ زائرين ؟! لن أستقبل الزوَّار اليوم .

أجابه مدير مكتبه فى توتر :

ـ معذرة يا سيِّد (مالينوفيتشى) ، ولكنهما من رجال الأمن .

ردَّد (مالينوفيتشى) فى ذعر :

ـ الأمن ؟!

أجابه الرجل ، فى توتر أكثر :

ـ نعم يا سيِّدى .. الكولونيل (سيرجى كوربوف) ، ومساعده (أندروبوف) .

انعقد حاجبا (مالينوفيتشى) ، وهو يسأل فى عصبيةَ :

ـ وماذا يريدان ؟!

أجابه الرجل فى سرعة :

ـ يقولان : إنه أمر شخصى .

شعر (مالينوفيتشى) بتوتر واضطراب شديدين ، مع هذا القول ، ولكنه بذل قصارى جهده ليتماسك ، وهو يقول :

ـ حسن .. دعهما يدخلان .

ثم استطرد فى سرعة :

ـ وأرسل فى طلب حارسى الخاص .

مع آخر حروف كلماته ، كان (سيرجى) يدلف إلى المكتب ، وخلفه رجل أشقر طويل القامة ، له شارب كث ، ويرتدى معطفًا أسود اللون ، شبيه بمعطفه هو ..

وفور دخوله ، وفى صرامة آمرة ، قال (سيرجى) :

ـ انس أمر الحارس الخاص يا سيِّد (مالينوفيتشى) ؛ فالأمر الذى سنتحدَّث فيه شخصى للغاية .

امتقع وجه (مالينوفيتشى) ، وهو يقول :

ـ كل أعمالى قانونية تمامًا ، ولن تجدوا لمحة إدانة واحدة .

قال الرجل المصاحب لـ (كوربوف) فى خشونة :

ـ نحن واثقون من هذا .

سأله (مالينوفيتشى) فى حدة :

ـ لماذا أتيتما إذن ؟!

دفع (كوربوف) الباب بيده ليغلقه ، قائلاً فى صرامة :

ـ أتينا بشأنها .

سأله فى هلع حذر :

ـ بشأن من ؟!

رمقه (أندروبوف) بنظرة صارمة ، وهو يجيب :

ـ (السنيورا) .

انتفض جسد (مالينوفيتشى) ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، وهو يتراجع فى حركة حادة ، ليسقط على مقعده ، هاتفًا :

ـ وما شأنى بها ؟!

ثم استدرك فى سرعة :

ـ أعنى أننى لم أسمع هذا الاسم من قبل .

ابتسم (أندروبوف) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ واضح .

أما (كوربوف) ، فلوَّح بسبَّابته فى وجهه ، قائلاً فى صرامة :

ـ اسمع يا سيِّد (مالينوفيتشى) .. كلانا يعلم أن الوقت لا يكفى للعبث .. أو حتى للمراوغة .. إننا نعرف علاقتك بها ، وعلاقتك بذلك المشروع النووىَ الحقير ، ونريد معرفة موقعها ، قبل فوات الأوان .

شحب وجه (مالينوفيتشى) فى شدة ، وهو يقول فى حدة :



لم يكد ذلك الصوت يخترق أذنى (مالينوفيتشى) حتى خفق قلبه فى قوة ، وكاد ينفجر بين ضلوعه ..

ـ قلت لك : إننى لست ...

قبل أن يتمّ عبارته ، فوجئ بـ (أندروبوف) يثب نحوه ، وينتزعه من مقعده بقبضة كالفولاذ ، وهو يقول :

ـ أين هى أيها الوغد ؟!

لم يكد ذلك الصوت يخترق أذنى (مالينوفيتشى) ، حتى خفق قلبه فى قوة ، وكاد ينفجر بين ضلوعه ، فى حين اتسعت عيناه عن آخرهما ، حتى كادتا تشملان وجهه كله ، فى حين تحوّل صوته إلى شىء أشبه بالفحيح ، وهو يهتف :

ـ أنت ؟!

أجابه (أدهم) فى سخرية :

ـ نعم .. هو أنا يا وغد الأوغاد .. هل أدهشك وجودى ؟!

لم تكن ملامح (مالينوفيتشى) تشفّ عن الدهشة فحسب فى الواقع ..

وإنما عن الذهول ..

الذهول بكل مقاييسه ، حتى إنه لم يستطع النطق بحرف واحد ، و(أدهم) يتابع :

ـ زميلاك الحقيران فشلا فى التخلص منى ، فما رأيك فى أن تقوم بمحاولة أخرى .

واصل (مالينوفيتشى) التحديق فيه بنفس الذهول ، لبضع لحظات أخرى ، قبل أن يهتف بكل ذعر الدنيا :

ـ لا .. لا تحاول أن تمسنى بسوء .. السيدة اتخذت كل الاحتياطات اللازمة ، حتى لا يضار أحدنا .. ستطلق قنابلها الذرية على العاصمة ، التى تؤذى أى واحد منا .. إياكم أن تحاولوا القضاء علىَّ .. لا بد وأن أجيب كل مكالماتها من هنا ، وإلا ...

قاطعه (أدهم) فى سخرية :

ـ وإلا ماذا أيها الوغد ؟! هل ستعاقبك بوضعك فى ركن الحجرة ؟!

صاح به (مالينوفيتشى) :

ـ بل ستعاقبكم أنتم بقنبلة ذرية .

مطَّ (سيرجى كوربوف) شفتيه ؛ وقال :

ـ هذا لو لم تجدك فى مكتبك .

لهث (مالينوفيتشى) فى انفعال ، وهو يسأله :

ـ ماذا تعنى ؟! هل .. هل ستتركوننى سالمًا ؟!

أجابه (أدهم) فى سخرية :

ـ بل لدينا اقتراح آخر أيها الوغد .

قالها ، وهو ينتزع عن وجهه ذلك القناع التنكرى ، الذى يرتديه ..

قناع (أندروبوف) ..

ومرة أخرى ، اتسعت عينا (مالينوفيتشى) فى ذهول ..

بل فى انهيار كامل ..

فتحت قناع (أندروبوف) ، كان (أدهم) يرتدى قناعًا آخر ..

قناعًا بوجه (مالينوفيتشى) نفسه ..

وبصوت لا يمكن تمييزه عن صوت هذا الأخير ، قال (أدهم) فى سخرية :

ـ ترى هل أدهشتك مرة أخرى ؟

تراجع الروسى كالمصعوق ، واتسعت عيناه مرة أخرى ، وفكه السفلى يسقط فى بلاهة ، ثم لم يلبث أن انتفض فى عنف ، هاتفًا :

ـ لا .. مستحيل !

أطلق هتافه ، وهو يثب إلى الأمام ، محاولاً بلوغ باب حجرته ، ولكن (سيرجى) اعترض طريقه بلكمة كالقنبلة ، قائلاً :

- إلى أين أيها الرفيق ؟!
انتزعته اللكمة من مكانه ، وارتفع جسده نصف متر ، قبل أن يسقط أرضًا فى عنف ..

وقبل أن تنطلق منه شهقة ألم ، انحنى (سيرجى) يلصق شريطًا عريضًا على شفتيه ، وهو يقول بأسلوبه الخشن الجاف :

- لقد تحدثْت كثيرًا الليلة ، وآن لك أن تصمت .

راح (مالينوفيتشى) يقاوم فى استماتة ، ولكن (سيرجى) قبض على عنقه بأصابع فولاذية ، انغرست فى العنق ، حتى جحظت عينا الرجل ، فى حين أخرج (أدهم) من جيب معطفه جهازًا صغيرًا ، ألصقه أسفل هاتف (مالينوفيتشى) الخاص ، وهو يقول :

- هكذا سيتمّ تحويل كل مكالماتك آليًّا إلى عنوانك الجديد .

وانتزع عنه (سيرجى) معطفه الأسود الطويل ، وألقاه إلى (أدهم) ، مضيفًا :

- فى دائرة الأمن .

جحظت عينا (مالينوفيتشى) ، من شدة الذعر ،

و(أدهم) يخلع معطفه ، ويرتدى المعطف الأسود ، على نحو جعله نسخة طبق الأصل منه ، فى حين ألبسه (سيرجى) معطف (أدهم) قسرًا ، وهو يقول :

- الآن سيشاهدك الجميع تغادر الشركة ، وستصدر أوامرك لهم بانتظار عودة السيِّدة ، وبألا يجيب أحد هاتفك الخاص ، مهما كانت الأسباب .

والتقط (أدهم) قناع (أندروبوف) ، وألصقه على وجه (مالينوفيتشى) فى دقة ، وهو يضيف :

- أما مساعد الكولونيل (كوربوف) ، فسيصاب بنوبة انخفاض فى مستوى السكر فى دمه ، وسيسقط مغشيًا عليه ، ويحتاج إلى نقله لأقرب مستشفى .

ثم التفت إلى (سيرجى) ، قائلاً فى سخرية :

- السؤال هو : كيف سيفقد عزيزنا (مالينوفيتشى) وعيه ؟

هوى (سيرجى) بقبضته الثقيلة على رأس (مالينوفيتشى) ، قائلاً فى غلظة :

- هكذا .

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، عندما بدت له الضربة قوية أكثر مما ينبغى ، وخاصة عندما اتسعت

عينا (مالينوفيتشى) عن آخرهما ، على نحو مخيف ، وجحظتا فى ألم وهلع عنيفين ، ثم دارتا فى محجريهما بشكل عجيب ، قبل أن يتراخى جسد الرجل دفعة واحدة ، ويهوى أرضًا كالحجر ..

وفى سرعة وتوتر ، انحنى (أدهم) يفحصه ، هاتفًا :

ـ هل جننت يا رجل ؟! إنها ضربة أقوى مما ينبغى .

قال (سيرجى) فى غلظة :

ـ هذا هو الأسلوب الوحيد ، الذى أجيده .

وضع (أدهم) سبّابته وإبهامه على عنق (مالينوفيتشى) بضع لحظات ، قبل أن يهتف فى انزعاج :

ـ يا لك من أحمق !

ثم رفع عينيه إليه فى غضب ، مستطردًا :

ـ لقد قتلته .

والتقى حاجبا (سيرجى كوربوف) الكثين فى شدة ..

فمصرع (مالينوفيتشى) كان يعنى أن الفرصة الأخيرة لمعرفة وكر (السنيورا) قد ضاعت ..

إلى الأبد .

★ ★ ★

٤ ـ الجليد ينهمر ..

« حمدًا لله على سلامتك يا (منى) .. »

ألقى مدير المخابرات التحية ، وهو يحمل ابتسامة كبيرة ، وباقة من الزهور ، وضعها إلى جوار فراش (منى) بالمستشفى ، مستطردًا :

ـ (ن ـ ١) يرسل إليك تحياته .

هتفت فى لهفة :

ـ (أدهم) !! أهو بخير ؟! كيف حاله ؟! أين هو الآن ؟!

جلس المدير على المقعد المجاور لفراشها ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ اطمئنى .. إنه بخير حال .. لقد نجا من محاولة شيطانية لاغتياله ، وهو الآن فى (موسكو) ، يستعد للمواجهة الأخيرة مع (السنيورا) .

قالت فى توتر :

ـ لقد أخبرنى أنها ليست (سونيا جراهام) .

أومأ المدير برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا صحيح .. إنها (كلوديا) .. (كلوديا موريس) .. تلك الثرية الفرنسية ، التى أسست مع (سونيا) قديمًا منظمة (ملائكة الجحيم) .. هل تذكرينها ؟!

انعقد حاجباها ، وهى تقول :

ـ وكيف يمكن أن أنساها ؟! (كلوديا موريس) ، التى تمتلك عدة شركات سياحية ، وعددًا لاحصر له من المشروعات التجارية المختلفة ، وأفخم ملهى ليلى وناد للقمار ، فى (أوروبا) كلها .

ثم عادت ترفع عينيها إلى المدير ، متسائلة :

ـ ولكن آخر معلوماتى عن (كلوديا) أنها قد سقطت فى قبضة المخابارت الروسية ، التى استجوبتها بمنتهى القسوة ، ثم ألقت بها بعدئذ ، فى غياهب معتقلات (سيبيريا) .

أجابها المدير ، ملوّحًا بكفه :

ـ هذا الجزء من حياتها صحيح تمامًا ، ولك أن تضيفى إليه أن المخابرات السوفيتية وجدت أن باستطاعتها الاستفادة من خبراتها ، فى عالم

الجاسوسية ، فأخرجتها من المعتقل ، وأسندت إليها مهمة ما لحسابها ، ولكن تلك الأفعى تظاهرت بالموافقة ، وأبدت استعدادها ، بل وحماسها الشديد للتعاون ، حتى أصبحت خارج الاتحاد السوفيتى ، وعندئذ اختفت تمامًا .. ولقد جنّ جنون المخابرات السوفيتية آنذاك ، وبلغ غضبها ذروته ، وأطلقت رجالها فى كل بقاع الأرض ، للبحث عن (كلوديا) وتصفيتها ، ولكنها كانت بارعة وخبيثة للغاية ، فلم تكد تفرَّ منهم ، حتى سافرت على الفور إلى (سويسرا) ، حيث تحتفظ بكل ثروتها الضخمة ، فى حساب سرى بأحد البنوك هناك ، ونقلت كل ملايينها إلى حساب باسم جديد ، ثم اختفت فى (أوروبا) ، وانتحلت عدة أسماء وشخصيات ، قبل أن تتخذ قرارها بالانتقال إلى (أمريكا الجنوبية) ، حيث حصلت على لقبها الجديد ، وبدأت فى تأسيس منظمتها الشهيرة .

استرخت (منى) فى فراشها ، وهى تقول :

ـ من الواضح أن (سونيا) أستاذة فى مضمارها ، فتلميذتها صارت أفعى سامة ، لا يشقّ لها غبار .

تنهَّد المدير ، وهو يوافقها مرة أخرى بإيماءة من رأسه ، قبل أن يقول :

ـ أملنا الوحيد الآن هو أن ينجح (أدهم) فى انتزاع أنياب الأفعى .

« من يتحدَّث عن (أدهم صبرى) ؟! »

اخترقت العبارة حديثهما فجأة ، فالتفتا معًا نحو مصدرها ، وهتفت (منى) :

ـ (جيهان) !! كيف حالك ! كم تسعدنى رؤيتك .

دفعت (جيهان) عجلة مقعدها المتحرِّك ! وهى تقول ، فى شىء من العصبية :

ـ تسعدك رؤيتى ؟! ولماذا ؟! ألأننى أصبحت حبيسة مقعد متحرِّك .

صدم الرد (منى) بعنف ، فغمغمت مرتبكة :

ـ الأطباء يقولون : إنها حالة مؤقَّتة يا (جيهان) ، وربما ...

قاطعتها فى حدة :

ـ ربما ؟! كم أشعر بسخف وحمق هذه الكلمة ... ربما ؟!

تبادل المدير و (منى) نظرة متوترة ، قبل أن يقول الأوَّل فى حزم :

ـ فليكن .. أعتقد أن الظروف الحالية لا تسمح لى بالبقاء لأكثر من هذا .. سأعود إلى الجهاز ؟ لمتابعة الموقف المشتعل ، فى العالم أجمع .

قالها ، وانصرف فى سرعة ، وكأنما يتحاشى التواجد بين جبهتين متصارعتين مثلهما ، وتابعته (منى) ببصرها ، حتى أغلق الباب خلفه ، ثم قالت ، محاولة الابتسام :

ـ (أدهم) يرسل إليك تحياته .

ابتسمت (جيهان) فى سخرية ، وهى تقول :

ـ آه .. كم ينفطر قلبى لهذا .

ثم لوَّحت بسبابتها ، مستطردة فى حدة :

ـ هل لاحظت أمرًا ما ، يرتبط بالعمل مع (أدهم صبرى) .

سألتها (منى) فى حذر :

ـ وما هو ؟!

أمسكت (جيهان) إطار مقعدها المتحرِّك بيسراها ، لتدفع جسدها قليلاً إلى الأمام ، وهى تلوِّح مرة أخرى بسبَّابتها اليمنى ، قائلة فى لهجة عصبية :

ـ كل من يعمل إلى جواره ، ينتهى به الأمر إلى فراش المرض ، بإصابة بالغة الخطورة .

بدت الدهشة على وجه (منى) ، وهى تهتف :

ـ ماذا تقولين يا (جيهان) ؟! (أدهم) يبذل قصارى جهده دائمًا ، لحماية كل من يعمل معه ، والذود عنه ، وإليه يعود الفضل فى بقائنا على قيد الحياة .

أطلقت (جيهان) ضحكة عصبية ، وهى تشير إلى مقعدها المتحرك ، قائلة :

ـ هذا لو أنك تعتبرين هذه حياة .

بدا الضيق على وجه (منى) ، وأشاحت بوجهها ، قائلة :

ـ عودى إلى حجرتك يا (جيهان) .. من الواضح أن أعصابك ثائرة للغاية ، وأنك لا تستطيعين التعبير عما يجيش به صدرك .

احتقن وجه (جيهان) ، وأدارت مقعدها فى حنق ، هاتفة :

ـ فليكن .. سأعود إلى حجرتى .

ثم توقفت ، وهى تولى ظهرها لـ (منى) ، وصمتت لحظة ، قبل أن تقول فى عصبية :

ـ ولكن هل تعلمين .. أنت على حق .. إن أعصابى ثائرة للغاية ، ولا يمكننى التعبير عما يجيش به صدرى .

وانحدرت الدموع من عينيها ، وهى تلتفت إليها ، مستطردة فى مرارة :

ـ إننى أشعر بخوف لا حدود له .. عليه .

التفتت إليها (منى) أيضًا فى حركة حادة ..

والتقت عيونهما ..

ودموعهما ..

★ ★ ★

انهمر الجليد فى بطء ، وراح يغمر شوارع (موسكو) بلونه الأبيض الناصع ، وسط الظلام المخيم على العاصمة ، على الرغم من أن عقارب الساعة كانت تشير إلى أن الفجر قد انبلج بالفعل ، منذ عدة دقائق ، وبدا (سيرجى كوربوف) غاضبًا محنقًا ، وهو يقف أمام نافذة مكتبه ، عاقدًا كفيه خلف ظهره ، يراقب الجليد المنهمر فى ضيق ، فى حين كان الأمريكى (بلاك) يقول فى سخط ثائر :

ـ ماذا نفعل الآن ؟! لقد قطعنا المسافة كلها من (نيويورك) إلى هنا ، على أمل الحصول على كل المعلومات المطلوبة ، من ذلك الوغد الروسى ، ثم يأتى الكولونيل (كوربوف) ، بمنتهى الصلف

والحماقة ، ليقتل الرجل ، ويضيع آخر فرصة لنا ، فى الحصول على ما نبتغى .

زمجر (سيرجى) ، قائلاً فى خشونة :

ـ اصمت أيها الأمريكى ، وإلا هشمت رأسك ، ودفنتك فى ثلوج (موسكو) ، حتى الصيف القادم .

أجابه (بلاك) فى تحد :

ـ افعل ، لو أنك تجرؤ على هذا أيها الروسى .

استدار إليه (سيرجى) بجسده الضخم ، قائلاً فى شراسة :

ـ هل ترغب فى تجربة هذا ؟!

صاح به (بلاك) :

ـ كف عن هذا الصلف الزائف أيها الروسى .. لقد مضى الزمن ، الذى كان هذا يناسبك فيه .. الآن نحن وحدنا على قمة العالم .. نحن وحدنا ..

قاطعهما (أدهم) فى صرامة غاضبة :

ـ كفى .. إنكما تتصرفان كمراهقين تافهين ، فى وقت لا يحتمل مثل هذه السخافات .

هتفت (بلاك) :

ـ ماذا تقترح إذن أيها العبقرى ، بعد أن قتلتما الخيط

الوحيد ، الذى كان يمكن أن يقودنا إلى (السنيورا) ، فى الوقت المناسب ؟!

أشار (أدهم) إلى رأسه ، قائلاً :

ـ الاقتراح الوحيد ، الذى يمكننى تقديمه ، فى ظروف كهذه ، هو أن ننفذ ماتعلمناه ، ونتوقف عن الدخول فى أية مشاحنات جانبية .. ثم أن نفكر .. وبعمق .

التقى حاجبا (سيرجى) ، فى حين قال (بلاك) فى حدة :

ـ وهل تعتقد أن التفكير وحده يمكن أن يقودنا إلى وكرها ؟

أجابه (أدهم) فى حزم :

ـ هذا ما يعتمد عليه عملنا ، فى معظم الأحوال .. أن نجمع المعلومات ، ونرتبها ، ونحللها ، وندرسها ، ثم نخرج منها باستنتاج ، يكون صحيحًا فى خمس وتسعين فى المائة من الحالات .

قال (بلاك) ، فى سخرية عصبية :

ـ وما الذى يمكن أن يساعدنا فيه التفكير هذه المرة أيها العبقرى ؟! إن كل ما لدينا من معلومات هو أن (السنيورا) هنا .. فى مكان ما من (روسيا) .. هل تعلم كم تبلغ مساحة (روسيا) ؟!

أشار (أدهم) بسبّابته ، قائلاً :

ـ كلا .. ليست هذه هى المعلومة الوحيدة المتاحة يا رجل .. إننا نعلم أيضًا أن بصحبتها فريق من علماء الطاقة النوويّة ، يحتاج إلى مكان وامكانيات للعمل ، وأنها تسعى لإنتاج قنابل ذرية ، وهذا لا يمكن أن يحدث فى شونة سيارات ، أو مصنع أدوات صحية قديم .. إنها تحتاج على الأقل إلى ...

قاطعه (سيرجى) فى خشونة :

ـ مفاعل ذرىّ .

استدار إليه (أدهم) فى سرعة ، قائلاً :

ـ بالضبط .

اندفع (سيرجى) نحو درج مكتبه ، واختطف منه ملفًا كبيرًا ، وهو يهتف :

ـ هنا ستجد كشفًا مفصّلاً بمواقع كل المفاعلات الذريّة ، فى الاتحاد السوفيتى القديم كله ، وخاصة التى لم تعد مستخدمة ، منذ تخفيض نفقات البحث والتسليح .

نقل الأمريكى بصره بينهما فى انبهار ، و (أدهم) يلتقط الملف ، قائلاً فى اهتمام :

ـ دعنا نستبعد المفاعلات العاملة ، ولنركز بحثنا

على تلك التى لم تعد مستخدمة .. هذا باعتبار أنه من المستحيل أن يتمّ بناء مفاعل جديد ، دون أن يشعر به أحد .

زمجر (سيرجى) ، مغمغمًا فى سخط :

ـ للأسف .. كل شىء أصبح ممكنًا هنا ، بعد هذا الانفتاح الاقتصادى اللعين .

قال (أدهم) ، وهو يراجع الملف فى اهتمام :

ـ لم يكن هناك ما يكفى من الوقت على الأقل .

انعقد حاجبا الأمريكى ، وهو يقول فى عصبية :

ـ هل تتصوران أن (السنيورا) يمكن أن ....

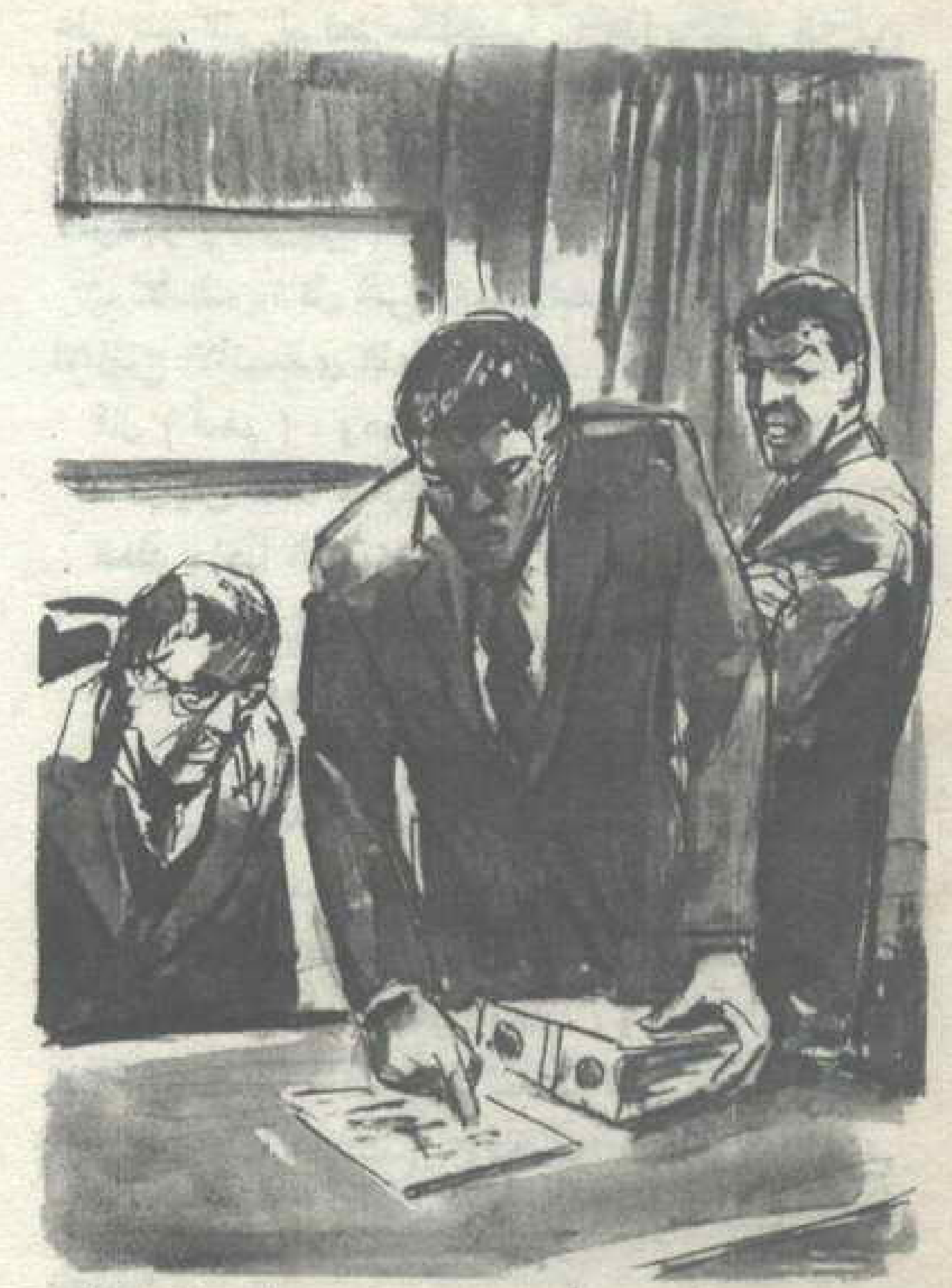
قاطعه (أدهم) ، وهو يهتف فى حزم :

ـ هذا .

فاشرأب بعنقه ، محاولاً رؤية ما تشير إليه سبّابة (أدهم) ، فى حين قال (سيرجى) فى حماس :

ـ بالتأكيد .. ذلك المفاعل النووىّ مهمل تمامًا ، منذ تم إغلاقه ، منذ عامين مضيا ، وخاصة فى هذه الفترة من العام ، نظرًا لوقوعه فى قلب (سيبيريا) .

اتسعت عينا (بلاك) ، وتحسّس المسدس المعلق تحت إبطه ، فى حركة غريزية ، وهو يقول فى عصبية :



فاشرأب بعنقه ، محاولاً رؤية ما تشير إليه سبّابة (أدهم) ..

ـ مفاعل ذرىّ ، فى قلب (سيبيريا) ؟! لا بد أنكما تمزحان ! إن لدينا ملفًا كاملاً عن مفاعلاتكم النووية ، ولا توجد به إشارة واحدة لذلك المفاعل المزعوم ، فى قلب (سيبيريا) .

ابتسم (سيرجى) فى شماتة ، وهو يغمغم :

ـ ربما يعنى هذا أنكم لستم بالذكاء ، الذى تتصوَّرونه :

احتقن وجه (بلاك) فى حنق ، وهو يتطلَّع معهما فى الملف ، فى حين قال (أدهم) فى اهتمام بالغ :

ـ إنه يبدو لى مكانًا مناسبًا للغاية .. السؤال هو : هل يمكن بالفعل إعداده ، بحيث يصبح صالحًا للعمل مرة أخرى .

هزَّ (سيرجى) كتفيه العريضين ، وهو يقول :

ـ ولِمَ لا ؟! كل ما يحتاج إليه هذا هو المال والاتصالات ، ولست أعتقد أن (السنيورا) وأعوانها يفتقرون إليهما .

اعتدل (أدهم) ، وبدت عليه علامات التفكير بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ نعم .. أعتقد أننا قد وضعنا أيدينا على الهدف .

ثم التفت إلى (بلاك) ، قائلاً فى سخرية :

- أرأيت ما يمكن أن يقود إليه التفكير ؟!

احتقن وجه الأمريكى ، وهو يقول :

- معرفة الهدف ليست كل شىء كما تتصوَّران .

أجابه (سيرجى) فى تحدٍّ :

- ولكنه نقطة الانطلاق على الأقل .. الآن يمكننا حشد جيش من الجنود ، والانقضاض على مفاعل (سيبيريا) ، و ...

قاطعه (بلاك) فى حدة :

- وتعريض العالم لكارثة نوويَّة جديدة .. أليس كذلك ؟!

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، فى حين هتف (سيرجى) :

- ماذا تعنى ؟!

أجابه (بلاك) فى صرامة :

- أعنى أن (السنيورا) ، بكل ذكائها وبراعتها وعبقريتها ، لن تبنى طموحها كله على هذا المفاعل ، دون أن تسعى لحمايته وتأمينه ، بكل الوسائل الممكنة ، بما فى هذا خطة نسفه كله ، لو بدت

الهزيمة محتومة .. هل تعلمان ما الذى يمكن أن يؤدى إليه انفجار مفاعل نووىّ فعَّال ؟! إنه يعنى سحابة ذريَّة ، تطوق العالم أجمع ، وتسرِّب إشعاعى مخيف ، يقضى فى بطء على كل صور الحياة من حوله ، وتلوِّث إشعاعى لكل الأطعمة والمشروبات ، لأكثر من عشر سنوات كاملة على الأقل(*) ... هل يمكنكما احتمال هذه النتائج ؟!

قال (سيرجى) فى صرامة :

- هذا أفضل من الـ ....

قاطعه (أدهم) :

- السيِّد (بلاك) على حق .

التفت إليه (سيرجى) فى حدة غاضبة ، وكأنما كان يتوقَّع منه تأييدًا غير مشروط ، ولكن (أدهم) تابع فى حزم وصرامة :

- لا يمكننا أن نتفادى كارثة بأخرى .. لا بد أن نجد وسيلة لمعالجة الأمر ، دون خسائر فادحة .

قال (سيرجى) فى حدة :

- وكيف هذا ؟!

(*) حقيقة علمية .

أشار (أدهم) بسبَّابته ، مجيبًا فى حسم :

- عملية انتحارية .

التقى حاجبا (سيرجى) الكثين مرة أخرى ، فى حين قال (بلاك) فى عصبية :

- هل تفكر فى التسلل إلى المفاعل ؟!

التفت إليه (أدهم) ، مجيبًا :

- بالضبط .. إنها الوسيلة الوحيدة للسيطرة على الأمر .. عملية انتحارية غير متوقَّعة ، بحيث تجدنا (السنيورا) فجأة فوق رأسها ، قبل أن تتخذ أية إجراءات عنيفة أو انتقامية .. ضربة مزدوجة ، من الداخل والخارج فى آن واحد .

بدا التوتر أكثر على (بلاك) ، وهو يقول :

- وهل يمكننا تحقيق هذا ، قبل أن تصبح قوية بما يكفى ، للسيطرة على العالم أجمع ؟!

أشار (أدهم) بسبَّابته ، قائلاً :

- هذا يتوقَّف على ..

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع فجأة رنين الهاتف ، الذى تم ايصاله بهاتف مكتب (مالينوفيتشى) ، فهتف (سيرجى) ، وهو يشير إليه :

- (أدهم) .

التقط (أدهم) سمَّاعة الهاتف ، فى حركة سريعة ، وتقمَّص صوته بغتة نبرات صوت (مالينوفيتشى) ، وأسلوبه ، وهو يقول :

- من المتحدِّث ؟!

انقبضت أصابعه على سمَّاعة الهاتف ، عندما اخترق أذنه صوت (سونيا جراهام) ، وهى تقول :

- إنه أنا يا (إيفان) .. أما زلت فى مكتبك ؟!

تجاوز توتره ودهشته بسرعة تستحق الإعجاب والتقدير ، وهو يقول :

- إنك تتحدثين إلىَّ فيه .

ولم يستطع مقاومة رغبته ، وهو يستطرد :

- أين أنت الآن ؟!

لم يكد السؤال يتجاوز شفتيه ، حتى بدا له متسرِّعًا أكثر مما ينبغى ، خاصة وأنه ما زال يجهل سر قدوم (سونيا) إلى هنا ، إلا أن صوتها بدا له طبيعيًّا للغاية ، وهى تجيب :

- ما زلنا فى الطائرة .. سنصل (ياكوتسك) بعد ساعة ونصف الساعة تقريبًا .. أتعشَّم أن يكون

الجنود وطائرات الهليوكوبتر على استعداد ؛ للانطلاق فورًا إلى الهدف .. أريد أن أفاجئ تلك اللعينة ، قبل أن تحكم قبضتها على الأمور .

أجابها فى بطء حذر :

- ستجدين كل شىء على ما يرام هناك .

ران عليها الصمت لحظة ، قبل أن تسأل فى صرامة :

- ماذا بك ؟!

تحفزت حواسه كلها ، وهو يقول :

- ماذا هناك ؟!

أجابته بلهجة عدوانية :

- إنك تبدو رصينًا أكثر من المعتاد .

أطلق ضحكة شاحبة ، وتظاهر بالتثاؤب ، قبل أن يجيب :

- بل مرهقًا أكثر من اللازم .. أنت تعلمين أننى لم أغادر المكتب منذ ...

قاطعته فى صرامة :

- أعلم هذا .

ثم لاذت بالصمت لحظة أخرى ، قبل أن تسأله :

- كيف حال (جورجى) ؟! أما زال يعانى نزلة البرد ؟!

كان (أدهم) يجيبها فى سرعة ، بأن (جورجى) على ما يرام الآن ، و ...

ولكن فجأة ، قرع ناقوس الخطر فى أعماقه ..

فملف (مالينوفيتشى) لم يكن يحوى أى شخص باسم (جورجى) ..

حتى قطه المدلل ..

ثم متى كانت (سونيا جراهام) اجتماعية متعاطفة إلى هذا الحد ؟!

متى أثارت صحة الآخرين ، أو حتى حياتهم اهتمامها ؟!

فلماذا إذن تسأل عن صحة (جورجى) هذا بكل اهتمام ؟!

إلا إذا ....

دارت الأفكار كلها فى رأسه ، فى سرعة البرق ، وجعلته يتساءل فى حيرة ، بنفس صوت ولهجة (مالينوفيتشى) :

- (جورجى) ؟! ومن (جورجى) هذا ؟!

خُيِّل إليه أنه يرى علامات الارتياح على ملامحها ، وهى تجيب :

ـ لا عليك .. كان مجرَّد خاطر جال بذهنى .

ثم أضافت فى حزم :

ـ سأتصل بك مرة ثانية ، عندما أبلغ الهدف .

زفر متظاهرًا بالتوتر ، وهو يقول :

ـ ولكننى بحاجة للنوم .

أجابته فى صرامة قاسية :

ـ لا نوم قبل أن ينحسم الأمر يا (إيفان) .

ثم أنهت المحادثة فى حدة ..

ولثوان ، ولأن الجميع قد سمعوا المحادثة ، عبر أجهزة استماع خاصة ، فقد ران على الحجرة صمت رهيب ، قطعة (سيرجى) ، وهو يقول بصوته الخشن الجاف :

ـ إذن فـ (سونيا جراهام) هنا أيضًا .

أجابه (أدهم) فى توتر :

ـ ليس هذا فحسب ، ولكنها تستعد أيضًا لشن حملة عسكرية على (السنيورا) ؛ لانتزاع زمام السلطة منها ، والسيطرة على المشروع النووىّ كله .

ثم أدار عينيه فى وجهيهما ، مستطردًا :

ـ الأمر جد خطير .

والتفت إلى خريطة (روسيا) ، المعلَّقة على الجدار ، وقال :

ـ إنها على بعد ساعة ونصف الساعة من (ياكوتسك) وهذا يعنى أنها تستطيع الوصول إلى مفاعل (سيبيريا) ، خلال ثلاث ساعات ونصف ، أو أربع ساعات على الأكثر .

واستدار إلى (سيرجى) ، يسأله :

ـ هل تعتقد أن باستطاعتنا بلوغه ، فى هذه الفترة القصيرة ؟!

التقى حاجبا (سيرجى) الكثين مرة أخرى ، فى حين هتف (بلاك) فى حنق :

ـ مستحيل ! حتى باستخدام طائرة نفاثة ، لن يمكننا بلوغ (سيبيريا) قبل خمس ساعات على الأقل .

تجاهل (أدهم) قوله هذا ، وهو يسأل (سيرجى) فى حزم :

ـ هل تعتقد أنه باستطاعتنا هذا ؟!

صمت (سيرجى) لحظة ، ثم قال فى خشونة :

ـ (السنيورا) عـادت بإرادتهـا مـرة أخـرى إلى (سيبيريا) ، وأفضل ما أتمناه ، فى هذه اللحظة ، أن أعيدها بنفسى إلى معتقلها الشهير .

رمقه (أدهم) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـ (سـيرجى) .. الأمريكيـون ضحـوا بسـلاحهم المضاد لمشروع (السوبرمان) .

مطَّ (سيرجى) شـفتيه لحظـة أخـرى ، قبـل أن يجيب فى حزم وغلظة :

ـ نحن أيضًا يمكننا التضحية ، من أجل سلامة وأمن العالم .

ثم التقط سمَّاعة الهاتف ، مستطردًا فى حسم :

ـ نعـم .. هنـاك وسيلة لبلـوغ المفاعل ، فى هذه الفترة تقريبًا .

وتفجَّرت دهشة رجل المخابرات الأمريكى ..

إلى الذروة ..

★ ★ ★

٥ ـ بسـرعة البـرق ..

أشعلت (كلوديا) واحدة من سجائرها الطويلة فى بطء وهى تتطلَّع إلى الجليد المنهمر ، عـبر نـافذة حجرتها ، وعقلها يستعيد ذكريات بعيدة ..

بعيدة ..

وقاسية ..

ذكريات أيام الاعتقال والهوان ..

فى قلب (سيبيريا) ..

« (كلوديا موريس) .. أنت متهمـة بالتـآمر على أمن وسلامة الاتحاد السوفيتى .. »

« عشر سنوات فى معتقل (سيبيريا) ... »

« عشر سنوات » ...

« عشر سنوات » ...

تردَّدت الكلمات طويلاً فى رأسها ، حتى خُيِّل إليها أنها تسمعها مرة أخرى فى أذنيها ..

ويا لها من كلمات !

لقد انتزعتها من عالمها الأنيق المثير فى (باريس) ، لتلقى بها فى عالم آخر ..

بل فى جحيم جديد ..

جحيم من الثلج ..

هى .. (كلوديا موريس) ، صاحبة المشروعات والملايين ، عاشت فى ظروف ، كان يمكن أن تصيبها بالانهيار ، لو تخيَّلت أن كلبها المدلَّل يعانيها ..

عاشت كالحيوانات ..

أو أدنى من هذا ..

الجوع لازم معدتها ..

الخشونة انغرست فى جلدها ..

البرودة نهشت عظامها ..

لذا ، فقد كان من الطبيعى أن تقبل عرض المخابرات السوفيتية ..

وأن تخدع الجميع ..

وأن تختفى ..

بل وكان من الطبيعى أكثر أن تكره العالم كله ..

بلا استثناء ..

وعلى رأس قائمة الكراهية ، كان اسم (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ، ضابط المخابرات المصرية ، الذى سلَّمها للسوفيت ..

الشخص المسئول عن عذاب عام كامل ، فى معتقل (سيبيريا) ..

عام كان أشبه بالدهر ..

أو بالزمان كله ..

وفى أعمق أعماق سجنها ، قرَّرت أن تنتقم ..

وأن يدفع الجميع الثمن ..

وها هو ذا انتقامها شارف نهايته ..

وفى نفس البقعة ، التى شهدت هوانها .. (سيبيريا) ..

وعندما يتحقَّق لها هذا الانتقام ، لن ترحم أحدًا .. على الإطلاق ..

حتى شركاؤها الأربعة ، ستسعى للسيطرة عليهم ، بعدما فعلوه معها ..

وبعدما تعاونوا مع (سونيا) لخداعها ..

ستثبت لها ولهم أنها الأقوى ..

والأكثر ذكاءً ..

وبراعة ..

انتزعتها طرقات حذرة على باب حجرتها ، من أفكارها وذكرياتها ، فقالت فى عصبية :

- ادخل .

دلف (لورانزو) إلى الحجرة فى خفة ، وهمّ بقول شىء ما ، إلاّ أنه لم يكد يلمحها فى غلالة النوم الرقيقة ، حتى اتسعت عيناه عن آخرهما ، وحدّق فيها مبهورًا ، فهتفت به فى حدة :

- ماذا هناك ؟!

أشار بإبهامه خلف ظهره ، وارتبك بضع لحظات ، قبل أن يجيب ، وهو يزدرد لعابه فى صعوبة :

- (استروتيسكى) يطلب مقابلتك يا (سنيورا) .

انعقد حاجباها فى حنق ، وهى تشير بيدها ، قائلة :

- دعه يدخل .

سألها مستنكرًا :

- الآن ؟!

صاحت به :

- نعم .. الآن يا (لورانزو) .. ألديك اعتراض ما ؟!

ازدرد لعابه مرة أخرى ، وهو يهزّ رأسه نفيًا ، ويغمغم :

- مطلقًا يا (سنيورا) .. مطلقًا .

جلست على أقرب مقعد إليها ، وراحت تنفث دخان سيجارتها فى عصبية ، حتى دخل (استروتيسكى) ، الذى لم يكد يلمحها هكذا ، حتى سقط فكه السفلى فى بلاهة ، فأشارت بسبّابتها محذّرة ، وهى تقول فى حدة :

- إياك أن تقول : إن العمل لن يتمّ إنجازه فى موعده .

شحب صوته ، وهو يومئ برأسه ، قائلاً :

- هذا صحيح يا (سنيورا) .

انعقد حاجباها فى غضب هادر ، وهى تهتف :

- اسمع يا رجل ..

ولكنه استدرك فى سرعة :

- لقد سبقنا الجدول بالفعل .

قفزت واقفة ، وهى تهتف غير مصدّقة :

- سبقتموه ؟!

لوّح بذراعيه ، قائلاً :

- نعم يا (سنيورا) .. العمل ليل نهار أجهدنا للغاية ، وأجهد كل الآلات والمعدات ، ولكننا استخدمنا وسيلة

تنشيطية جديدة ، سيمكننا معها إنجاز العمل قبل موعده ، بأربع ساعات كاملة .

سألته فى لهفة :

ـ هل تعنى أن ...

أجابها مرتبكا ، قبل أن تتمّ تساؤلها :

ـ نعم يا (سنيورا) .. القنبلة الذرية الأولى ستكون جاهزة ، بعد خمس ساعات فحسب .

تألّقت عيناها بشدة ، قبل أن تصرخ :

ـ رائع .

ثم اندفعت نحوه ، وطبعت قبلة على خده ، هاتفة :

ـ أنت تستحق هذا .

احمرّ وجه العالم الذرىّ بشدة ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة مرتبكة ، وهو يغمغم :

ـ آآ .. الواقع يا (سنيورا) أن .. أن ...

قاطعته فى حماس :

ـ ستحصلون على كل المكافآت التى تريدونها .. وسأجزل لكم العطاء أيضًا .. المهم أن تصبح القنبلة جاهزة ، فى الموعد الذى ذكرته ، أو ....

قبل أن تتمّ عبارتها ، اندفع (لورانزو) إلى حجرتها دون استئذان ، هاتفًا :

ـ (سنيورا) .

التفتت إليه فى حدة ، وصاحت به :

ـ ماذا هناك ؟! ألم آمرك بعدم دخول حجرتى قط بدون استئذان ؟!

أجابها فى توتر بالغ :

ـ ولكنها برقية عاجلة للغاية يا (سنيورا) .. برقية أرسلها أكبر جواسيسنا فى (ياكوتسك) .

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تغمغم فى توتر ، ملتقطة البرقية :

ـ برقية من (ياكوتسك) .

ثم أشارت إلى (استروتيسكى) فى صرامة ، قائلة :

ـ هيّا .. عد إلى معملك يا (استروتيسكى) ، وحاول إنجاز العمل فى موعده كما وعدت .

ارتبك (استروتيسكى) ، واندفع نحو الباب ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد يا (سنيورا) .. بالتأكيد .

بدا عليها مزيج من الغضب والتوتر ، وهى تطالع البرقية ، قبل أن تقول فى حدة ، وهى تلقى سيجارتها إلى ركن الحجرة فى عنف :



أطبق الشاب شفتيه فى توتر بالغ ، فى حين أشعلت هى سيجارة أخرى ، وهى تدور فى حجرتها ..

ـ إذن فأنت هنا يا (سونيا) ! يا لك من وقحة !! إنك لا تكتفين باقتحام مملكتى ، ولكن تحاولين شن حرب علىّ أيضًا .

لوَّح (لورانزو) فى قلق ، قائلاً :

ـ البرقية تقول : إنها ستقلع إلى هنا بعد قليل ، وإن بصحبتها فريق من المقاتلين المحترفين ، وسرب من طائرات الهليوكوبتر المقاتلة ، وليست لدينا الإمكانيات لصد كل هذا .

أجابته فى حدة :

ـ اهدأ يا (لورانزو) ، وإلا أخرستك برصاصة صائبة ، فى منتصف جبهتك .

أطبق الشاب شفتيه فى توتر بالغ ، فى حين أشعلت هى سيجارة أخرى ، وهى تدور فى حجرتها ، قائلة لنفسها فى عصبية :

ـ (سونيا) ليست غبية .. إنها تعلم جيِّدًا أنه لا يمكنها أن تهاجم على نحو مباشر ؛ لأنه إذا ما لاحت لى الهزيمة ، فسأقلب المائدة على رءوس الجميع ، وأنسف المفاعل ، ونخسر جميعًا كل شىء .. ثم إنها ليست حمقاء ، بحيث تعدّ جيشها الصغير هذا ،

على نحو يجذب انتباه جاسوسنا فى (ياكوتسك) ، فما الذى يمكن أن يعنيه ما حدث إذن ؟!

أجابها (لورانزو) فى توتر :

ـ ربما تحاصر المكان ، ثم ...

قاطعته فى غضب :

ـ اصمت .. إياك أن تقاطعنى ، وأنا أحدّث نفسى .. ولا تمنحنى رأيك قط ، إلا إذا طلبته .. هل تفهم ؟!

انكمش على نفسه ، متمتمًا :

ـ بالتأكيد يا (سنيورا) .. بالتأكيد .

عادت تتحدّث مع نفسها فى عصبية :

ـ ربما كانت تفكر بالفعل فى محاصرة المفاعل ، وفى هذه الحالة ستهبط بطائرات الهليوكوبتر بعيدًا ، ثم تخترق وجيشها الأشجار المحيطة بالمكان ، حتى يصلوا إلى هنا ، و ...

صمتت بضع لحظات ، مفكّرة فى عمق ، قبل أن تلتفت إلى (لورانزو) ، متسائلة فى اهتمام :

ـ ماذا لدينا هنا للدفاع ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ ست منصّات متحرّكة ، للصواريخ المضادة

للطائرات ، وثلاثون رجلاً مسلحون بالمدافع الآلية ، والقنابل اليدوية ، و ...

قاطعته باهتمام أكبر :

ـ وكم لدينا ، من احتياطى الوقود ؟!

أجابها فى حيرة :

ـ لدينا كمية ضخمة جدًا .

تألّقت عيناها ، وهى تقول :

ـ عظيم .. فى هذه الحالة يمكننى أن أقول إنه عندما تصل عزيزتنا (سونيا) إلى هنا ، ستكون فى انتظارها مفاجأة .. مفاجأة مدهشة .

قالتها ، وانطلقت من حلقها ضحكة ..

ضحكة عالية ..

وظافرة ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا الأمريكى (بلاك) فى غضب عصبى ، وهو يحكم رباط حزام مقعده قائلاً فى حدة :

ـ لم أكن أتصوّر أن يكون الروس بهذا الخبث .. إننا نجهل كل شىء عن هذه الـ (ميج ٣٠٠) ، وكأنه ليس لها وجود .. إنها تنطلق بسرعة تكاد تبلغ ضعف

سرعة أقوى مقاتلاتنا وأسرعها ، على الرغم من حجمها وسعتها !! كيف فعلوا هذا بحق الشيطان ؟!

قال (أدهم) فى هدوء :

- لا شأن للشيطان بهذا .. دعنى استعير عبارة (سيرجى) ، وأقول :

ربما لستم بالذكاء الذى تتصوَّرونه ..

قال (بلاك) فى حدة :

- هل تجرؤ ؟!

تابع (أدهم) فى صرامة ، وكأنه لم يسمعه :

- الروس وضعوا تصميمات هذه الطائرة ، وراجعوها ، ووضعوا عليها كل التحسينات الممكنة ، ثم صنعوا النموذج الأوَّل منها ، وأجروا عليه تجاربهم ، وبعدها أدخلوا تحسينات وتعديلات جديدة ، ثم انتجوا طائرتهم الأولى ، وأطلقوا عليها اسم (ميج ٣٠٠) ، دون أن يمكنكم كشف أية مرحلة من هذه المراحل ، فما الذى يمكنك أن تطلق على ما حدث ؟! أهى غفلة منكم ، أم هو ذكاء منهم ؟!

احتقن وجه (بلاك) ، وهو يقول :

- يمكننا أن نقول : إن الروس قد أجادوا اللعبة هذه المرة .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، قائلاً :

- إلى حد كبير .

قال (بلاك) فى حدة :

- ولكنكم كنتم تعلمون بأمر (الميج ٣٠٠) .

بدت ابتسامة (أدهم) غامضة خبيثة ، وهو يقول :

- من قال هذا ؟!

رمقه (بلاك) بنظرة نارية ، وهو يقول فى حدة :

- اسمع أيها المصرى .. لقد قبلت هذه المهمة ، وأنا أعرف أنهم يعتبرونك أسطورة فى عالم المخابرات ، ولكن هذا لا يعنى أنك أفضل منا .. إنك مجرَّد طفرة ، لا يمكن أن تنشأ مرة أخرى ، أما نحن فعباقرة فى مضمارنا .. إننا نتلقَّى أحسن وأفضل تدريبات ، فى عالم المخابرات كله ، ولا يدانينا فى هذا المجال سوى رجال (الموساد) ، لأنهم يتلقَّون التدريبات نفسها ، ويشاركوننا نفس التكنولوجيا والمعلومات ، أما أنتم ..

سأله (أدهم) فى برود :

- ماذا عنا ؟!

أجابه فى صرامة :

- أنتم تتصوَّرون أنكم أكثر ذكاءً من الجميع ، وتتصرَّفون دومًا بمنتهى الصرامة ، و ...

قاطعه (أدهم) فى حزم :

- والثقة .

احتقن وجه (بلاك) لحظة ، ثم لم يلبث أن قال فى حدة :

- هذا ما تتصوَّرونه .

صمت (أدهم) لحظة ، قبل أن يميل إليه ، ويتطلَّع إلى عينيه مباشرة ، قائلاً فى صرامة هادئة ، تجمَّدت لها كل ذرة ، فى كيان الرجل :

- اسمع يا (بلاك) .. لو أنك نسيت ما يحدث ، فدعنى أذكِّرك أننا لم نستقل الطائرة ، من (نيويورك) إلى (موسكو) ، ونواجه (مالينوفيتشى) فى عقر داره ، حتى نتباحث فيمن منا أكثر قوة ومهارة من الآخر .. إننا نستقل الآن طائرة روسية متطوِّرة ، تنطلق بنا بسرعة خرافية ، إلى قلب (سيبيريا) ، وعندما نصل إلى هدفنا ، سنقفز من ارتفاع هائل ، من الطائرة نفسها ، دون أن تخفِّف من سرعتها إلا قليلاً ، بكل ما يمثِّله هذا من مخاطر ، حتى يمكننا

بلوغ المفاعل النووى فى الوقت المناسب ، واقتحامه أو التسلل إليه ، على نحو يكفل لنا مفاجأة (السنيورا) ، وكل رجالها واستعدادها ، ليمكننا إحباط خططها التدميرية والدفاعية ، للوقت الذى يتمكَّن فيه زميلنا (سيرجى كوربوف) من قيادة فرقة اقتحام مدرَّبة ، للسيطرة على المكان .. هل تعتقد أن تلك الظروف تتناسب مع مناظرة كهذه ؟!

احتقن وجه (بلاك) أكثر ، وهو يتطلَّع إليه ، فى عصبية شديدة ، قبل أن يشيح بوجهه ، قائلاً :

- كلاَّ .

اعتدل (أدهم) فى مجلسه ، قائلاً :

- عظيم .

مطَّ (بلاك) شفتيه لحظة ، ثم قال فى عناد :

- ولكنكم كنتم تعلمون بأمر (الميج ٣٠٠) .. حديثك مع ذلك الروسى كان يؤكِّد هذا .

تجاهل (أدهم) العبارة تمامًا ، وحاول أن يسترخى فى مقعده ، وهو يراجع الخطة مع نفسه ..

إنه فى طريقه الآن إلى المواجهة ، التى ظلَّ ينتظرها طويلاً ..

المواجهة مع (السنيورا) ..

وعلى الرغم مما ستنطوى عليه تلك المواجهة حتمًا ، من مخاطر لا حصر لها ، إلا أن كل ما يملكه من معلومات عنها هو الرسوم التصميمية للمفاعل ، والمبانى الملحقة به ..

ومن المؤكد أن هذا لا يكفى للمواجهة ..

بأى مقياس عملى ..

ولكنها مواجهة حتمية ..

وأيضًا بأى مقياس عملى ..

وعلى الرغم من خطورة ما ينتظره ، انطلق عقله بعيدًا ، حاملاً موجة عارمة من القلق والتساؤل ، تجاه أقرب أصدقائه ..

(قدرى) ..

ترى ما مصيره ، بعدما أصابته تلك الرصاصة ، فى أثناء فراره من (ثندربيرد)[*] .

وأين هو الآن ؟!

أين ؟!

★ ★ ★

(★) راجع قصة (السنيورا) .. المغامرة رقم (١٢٠) .

« لم نعثر له على أدنى أثر .. »

نطق (عارف) العبارة فى توتر ، داخل مكتب المخابرات العامة المصرية فى (نيويورك) ، قبل أن يلوِّح بذراعيه ، مستطردًا :

ـ لقد تأكَّدت بنفسى أنه لا توجد أية جثة باسم (بو) ، فى ذلك المستشفى الصغير ، ولا فى أى مستشفى آخر .

أجابه زميله (أشرف) فى قلق :

ـ من المحتمل أن يكونوا قد نقلوه إلى مدينة أخرى ، أو حتى ولاية أخرى .. كل ما يحتاج إليه الأمر هو طائرة طبية مجهَّزة ، وكثير من المال ، وهما أمران لن يقلقا رجلاً مثل (أوكونور) .

أشار (عارف) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ فليكن .. دعونا نبحث إذن عن طائرة طبية ، تم إعدادها بصورة عاجلة ، خلال الساعات الأخيرة ، منذ لحظة اختطاف (قدرى) ، وحتى هذه اللحظة .

بدأ (أشرف) عمله على الكمبيوتر مباشرة ، للبحث عن تلك المعلومات ، فى حين قال زميله (سمير) فى توتر :

ـ لا يمكننى أن أتخَيل أن نفقد السيِّد (قدرى) .. إننى مستعد لبذل حياتى ، فى سبيل استعادته .

غمغم (عارف) :

ـ كلنا هذا الرجل .

سأله (سمير) فى قلق :

ـ قل لى يا (عارف) :

هل تتصوَّر أو تتوقَّع أن تفلح هذه الوسيلة ؟! أعنى هل تعتقد أنهم سيسمحون بوجود هذه المعلومة ، على شبكات الكمبيوتر ؟!

أجابه (عارف) فى حزم :

ـ لا يمكنهم منع وجودها يا صديقى ، فحتى لو قاموا بمحو المعلومة الرئيسية ، ستبقى معلومات فرعية ، لا يمكن محو أثرها تمامًا ، لأن إعداد أى أمر الآن لم يعد ممكنًا ، دون استخدام الكمبيوتر .. استئجار الطائرة ، أو إعدادها ، أو حتى طلب اسعافات طبية خاصة .

ثم أشار إلى شاشة الكمبيوتر ، مستطردًا :

ـ إنهم سيسعون حتمًا لمحو كل ما يتعلَّق بالأمر ، ولكن ما من شىء كامل .. سينسون حتمًا نقطة

صغيرة .. لمحة .. أى شىء يمكننا أن نلتقطه كطرف خيط .. المهم أن نستخدم كل خبرتنا وذكائنا ، للعثور على طرف الخيط هذا ، وجذبه بكل القوة ، حتى نصل إلى نهايته ..

وانعقد حاجباه فى حزم ، وهو يضيف :

ـ وعندئذ سنستعيد السيِّد (قدرى) .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى هتف (أشرف) فجأة :

ـ يا إلهى !

التفت إليه زميلاه فى لهفة ، وسأله (سمير) :

ـ هل عثرت على شىء ؟

بدا صوت (أشرف) شاحبًا كوجهه ، وهو يجيب :

ـ طرف الخيط .

اقتربا منه فى سرعة ولهفة وفضول ، وهو يتابع فى توتر :

ـ هناك بالفعل طائرة طبية خاصة ، يتمّ إعدادها فى الوقت الحالى ، ولقد تم تزويدها بفراش طبى عريض ، وأحزمة تثبيت كبيرة ، وهذا يعنى أن المريض ، الذى سيتمّ نقله ، ضخم الجسم إلى حد ما .

هتف (عارف) :

- رائع .. هذا يتناسب تمامًا مع ما نبحث عنه .. أراهنكما على أن المريض ، الذى سيتمّ نقله ، على متن الطائرة ، هو السيِّد (قدرى) .

التفت إليه (أشرف) ، قائلاً :

- أنا أيضًا واثق من هذا ، ولكن هذه ليست المشكلة .

سأله (سمير) ، فى قلق بالغ :

- ما المشكلة إذن ؟!

ازداد صوت ووجه (أشرف) شحوبًا ، وهو يشير إلى شاشة الكمبيوتر ، مجيبًا :

- وجهتها .

وانتقلت عينا زميليه إلى حيث يشير ..

ثم انتفض جسداهما من المفاجأة ..

بمنتهى العنف ..

★ ★ ★

تطلّع (سام أوكونور) إلى الرجل النحيل الواقف أمامه ، فى اهتمام بالغ ، قبل أن يلتفت إلى الواجهة الزجاجية الكبيرة لحجرة مكتبه ، قائلاً :

- إنه أحد المشاهد التى أعشقها .. شروق الشمس على (نيويورك) .. مدينتى .

ابتسم النحيل فى سخرية وخبث ، وهو يقول :

- بالتأكيد يا مستر (أوكونور) .. بالتأكيد .

ثم لوَّح بكفه ، مستطردًا :

- قولك هذا يزيح الكثير من القلق عن كاهلى فى الواقع ، فقد كنت أشعر بتأنيب الضمير ؛ لأننى جعلتك تأتى إلى شركتك ، فى هذه الساعة المبكِّرة ، ولكنك تعلم أنه من المستحيل أن نتمَّ صفقة كهذه ، فى ساعات العمل المعتادة .

هزَّ (أوكونور) رأسه ، قائلاً :

- أعلم هذا .. أعلم هذا .

ثم التفت إليه ، مضيفًا فى حزم :

- ولكنها صفقة رابحة لكم بالتأكيد .

استعاد النحيل نفس الابتسامة الخبيثة ، وهو يقول :

- إنها صفقة رابحة لكلينا يا مستر (أوكونور) ، فنحن سنحصل على خبير التزييف والتزوير المصرى ، وأنت ستحصل على صداقتنا وتعاوننا مدى الحياة .

ابتسم (أوكونور) فى سخرية ، قائلاً :

- قبل أن تغرب هذه الشمس ، لن أصبح بحاجة إلى صداقتكم أو تعاونكم ، ولكننى منحتكم ذلك البدين ؛

لأننى لم أعد بحاجة إليه ، بعد أن قضيت وزميلى (ماسومى) على الرجل ، الذى عجزتم عن تحطيمه لسنوات وسنوات .

اتسعت ابتسامة النحيل ، وازدادت خبثًا ودهاء ، وهو يقول :

- إننا نحترم هذا كثيرًا يا مستر (أوكونور) .

مدَّ (أوكونور) يده ليصافحه ، قائلاً :

- عظيم .. هذا يسعدنى أيضًا .. والآن دعنى أودِّعك يا مستر (دافيد) ، حتى يمكنك اللحاق بتلك الطائرة الطبية ، فأنت على حد قولك ، ترغب فى الإقلاع بها ، قبل أن يبدأ الناس عملهم هنا ، والجميع يبدأ مبكرًا فى مدينتى .

صافحه (دافيد) ، وهو يقول :

- بالتأكيد يا مستر (أوكونور) .. بالتأكيد .

سأله (أوكونور) ، وهو يتجه معه إلى مصعده الخاص :

- هل ستتوقفون فى الطريق ؟ فى (لندن) مثلاً أو (باريس) ؟!

هزَّ (دافيد) رأسه نفيًا ، وأجاب فى هدوء :

- بل سننطلق إلى الوطن مباشرة يا مستر (أوكونور) .

وتألَّقت عيناه ، وهو يضيف :

- إلى (إسرائيل) .

★ ★ ★

ألقى قائد (الميج ٣٠٠) نظرة على ساعته ، وهو ينطلق بأقصى سرعته ، قبل أن يسأل فى اهتمام :

- هل تجيدان الروسية ، أم أننى مضطر للتحدُّث بلغةَ أخرى .

أجابه (بلاك) فى صرامة :

- إننا نجيدها .

قال الطيَّار :

- عظيم .. اعلما إذن أننا نتجه مباشرة نحو الهدف ، وسنبلغه خلال دقيقتين فحسب ، وهذه الطائرة لم تجهَّز للاستخدام كحاملة جنود مظلات ، لذا فالقفز منها سيختلف ، ومن حسن الحظ أنها مزوَّدة بأربعة مقاعد قاذفة ، وعندما تتلقيان الإشارة ، عليكما بجذب الذراع الحمراء ، فى جانب المقعد ، لتتم عملية القذف على الفور .. ستنطلقان خارج الطائرة بسرعة

ثلاثمائة كيلومتر فى الساعة ، ثم تبدأ عملية الهبوط ، بعد أن تكون الطائرة قد ابتعدت بما يكفى ، حتى لا تجذبكما محركاتها النفاثة ، وتفرمكما فرمًا .. وأهم ما فى الأمر هو أن تتخلّصا من المقعد بأسرع ما يمكن ، وسيتمّ هذا بالضغط على الزّر الأزرق فى مسنده ، فهذا وحده سيحلّ حزام المقعد ، ليتمّ انفصال كل منكما عن مقعده ، وما إن يتمّ هذا الانفصال ، استخدما كل مهارتكما للابتعاد عنه ، لأنه مبرمج بحيث ينفجر تمامًا ، بعد ثلاثين ثانية من خروجه من الطائرة .

عقد (بلاك) حاجبيه ، قائلاً :

- ولماذا هذا ؟!

أجابه فى صرامة :

- لأن دراساتنا أثبتت أنه فى خمسة وثمانين فى المائة من الحالات ، يتمّ العثور على الطيار ، عن طريق موقع سقوط مقعده القاذف .. هل فهمت لماذا أيها الأمريكى ؟

التفت (بلاك) إلى (أدهم) ، وتمتم محنقًا :

- أرأيت ؟! إنهم أذكى مما كنا نتصوّر .

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وهو يتابع عدادات الطائرة ومؤشراتها فى اهتمام ، مغمغمًا :

- إننا نعلم هذا ، منذ زمن طويل .

هتف (بلاك) :

- آه .. بالتأكيد .. لقد تعاونتم معهم كثيرًا ، بعد هزيمتكم فى يونيو ١٩٦٧م .

قال (أدهم) فى صرامة :

- تقصد قبل انتصارنا فى أكتوبر ١٩٧٣م .

مطّ شفتيه ، مغمغمًا :

- لا فارق .

أجابه (أدهم) ، فى صرامة أشدّ :

- بل فارق كبير .

قال الطيار فى حدة :

- معذرة أيها السيدان ، يؤسفنى قطع حديثكما ، الذى لا أفقه منه شيئًا ، ولكن عليكما أن تستعدا للقفز .. سنبدأ العد التنازلى .. عشرة .. تسعة .. ثمانية ..

راجع (أدهم) أحزمة مقعده فى سرعة ، وأمسك الذراع الحمراء فى وضع الاستعداد ، وكذلك فعل (بلاك) ، والطيّار يتابع :

- ستة .. خمسة .. أربعة ..

غمغم (بلاك) :

ـ تمن لى حظًا سعيدًا أيها المصرى .

أجابه (أدهم) :

ـ وأنت أيضًا أيها الأمريكى .

وهتف الطيَّار :

ـ صفر .. انطلق .

وجذب كلاهما ذراع مقعده الحمراء ، وتفجَّرت قمة الطائرة فوقه ، والمقعد ينطلق عاليًا ..

كانت انطلاقة بالغة القوة والسرعة ، حتى إن (أدهم) شعر بأنفاسه تضيق ، وقلبه يدقّ فى عنف ، والمقعد يرتفع ويرتفع ..

ثم يبدأ مرحلة الهبوط ..

وبسرعة ، ضغط (أدهم) ذلك الزر الأزرق ، وانفصل عن مقعده ، وبدأ مرحلة الهبوط الحر ، و....

وفجأة ، وقع بصره على الأمريكى ، وهما يعبران سحابة كثيفة داكنة ..

كان من الواضح أنه لم ينجح فى الانفصال عن مقعده ؛ فقد كان يقاتل فى استماتة ، للتخلص من أحزمته ..



كان من الواضح أنه لم ينجح فى الأنفصال عن مقعده ، فقد كان يقاتل فى استماتة ، للتخلص من أحزمته ..

وكان هذا يعنى أنه بعد اثنتين وعشرين ثانية ، سيصبح الأمريكى هو الضحية رقم واحد ، فى تلك الحرب العالمية المحدودة ..

حرب (السنيورا) ..

النووية .

* * *



٦ - الحصـــار ..

ضغط (سمير) دوَّاسة الوقود فى سيارته أكثر وأكثر ، وكأنما يحثَّها على الانطلاق بسرعة تفوق سرعتها القصوى ، فى الطريق الواسع ، خارج (نيويورك) ، وهو يغمغم فى توتر بلغ حده الأقصى :

– ساعدنا يا إلهى .. ساعدنا على الوصول فى الوقت المناسب .

تمتم (عارف) ، وهو يجذب مشط مسدسه :

– لن يغفروا لنا أبدًا فى (القاهرة) ، لو سمحنا للإسرائيليين بحمل السيِّد (قدرى) إلى (تل أبيب) .

قال (أشرف) :

– بل قل : إننا لن نغفر لأنفسنا .

مطَّ (عارف) شفتيه ، وسأل (سمير) :

– كم تبقَّى أمامنا ، حتى نصل إلى ذلك المطار ؟

أجابه (سمير) بنفس التوتر :

– ها هو ذا يبدو من بعيد ..

أدار (عارف) و(أشرف) عيونهما ، إلى حيث يشير (سمير) ، وهتف الأوَّل فى هلع :

- ربّاه ! الطائرة تتحرك على ممرّ الإقلاع بالفعل .

عضّ (سمير) شفتيه فى حنق ، قبل أن يهتف فى حزم :

- تشبثًا .

قالها ، وانحرف بالسيارة فى حركة حادة ، ليثب بها وسط الحقول ، ثم يطلق العنان لسرعتها ، فى محاولة لاختصار الوقت والمسافة .

كانت السيارة تتقافز على نحو مخيف ، فوق الأرض غير الممهّدة ، ولكن الرجال الثلاثة لم يشعروا بهذا أبدًا .

كانت حواسهم كلها متعلّقة بتلك الطائرة ، التى تتحرك فى بطء ، على ممر الإقلاع ، استعدادًا للانطلاق .

ومن نافذة الطائرة ، شاهد رجل (الموساد) (دافيد) السيارة ، وهى تعبر الحقول ، فى طريقها إليهم ، فهتف بقائدها :

- أسرع يا رجل .. أطلق محركاتك النفاثة .

هتف به الطيَّار :

- مستحيل يا سيِّد (دافيد) .. لا بد أن نصل إلى السرعة المناسبة أوّلاً .

صاح به (دافيد) فى غضب :

- هيّا يا رجل .. لا وقت لهذا .. هيّا .

دفع الطيَّار عصا السرعة إلى الأمام فى حذر ، وهو يغمغم :

- سأحاول يا مستر (دافيد).. سأحاول .

انعقد حاجبا (دافيد) فى شدّة ، وأشار إلى حارسيه ، هاتفًا :

- امنعا هذه السيارة من بلوغ الطائرة بأى ثمن .

. اندفع الحارسان نحو باب الطائرة ، ودفعاه جانبًا ، وشهر كل منهما مدفعه الآلى ، ثم راحا يطلقان النار فى غزارة .

وانهالت الرصاصات على السيارة كالمطر ، فهتف (سمير) :

- احترسا .. إنهم يحاولون منعنا من بلوغ الطائرة .

هتف (أشرف) فى صرامة :

- دعهم يحاولون .

قالها ، وهو يطلق نيران مسدسه بدوره نحو الطائرة ، التى زاد الطيَّار من سرعتها بحركة غريزية ، وهو يهتف :

- ربَّاه ! ماذا يحدث ؟! أهى حرب عصابات أم ماذا ؟!

اندفع (دافيد) نحوه ، وانتزع مسدسه من غمده ، ليغرس فوهته فى عنقه ، وهو يقول فى شراسة :

- اسمع يا هذا .. ذلك البدين الفاقد الوعى ، هو واحد من أهم وأخطر الرجال فى العالم ، وحياته تساوى بالنسبة لنا ثروة طائلة ، حتى إننى لن أتردَّد فى قتلك ، لو أن هذا يفيدنا فى الاحتفاظ به .

هتف الطيَّار مذعورًا :

- وماذا يمكننى أن أفعل يا سيِّدى ؟!

صاح به (دافيد) فى قسوة :

- أطلق المحركات النفاثة .. هيَّا .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها (دافيد) عبارته ، كان أحد حارسيه قد سقط من الطائرة ، بعد أن أصابته رصاصات (عارف) فى مقتل ، فى حين راح الحارس الثانى يطلق رصاصات مدفعه الآلى نحو السيارة ، فى شراسة أكثر ، فهتف (عارف) :

- حاول أن تقترب أكثر يا (سمير) .. أريد اقتناص هذا الوغد .

صاح (أشرف) ، وهو يطلق النار :

- هل نحاول نسف إطارات الطائرة ؟!

أجابه (سمير) فى سرعة :

- لا ... لا تحاول .. إنك قد تقتل السيِّد (قدرى) بهذا .

هتف (أشرف) :

- ترى أيهما يعتبر خسارة أكبر .. مصرعه ، أم سقوطه فى قبضة الإسرائيليين ؟!

انعقد حاجبا (عارف) ، وهو يتمتم :

- يا له من سؤال !

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى سمع شهقة قوية ، تنطلق من بين شفتى (أشرف) ، قبل أن ينتزعه سيل من الرصاصات من مكانه ، داخل السيارة المكشوفة ، ويلقى به خارجها فى عنف .

وبكل غضب الدنيا ، هتف (عارف) :

- لا .

ثم استدار إلى الحارس الإسرائيلى ، صارخًا :

- أيها الوغد .

انطلقت رصاصاته نحو الحارس الإسرائيلى ، فى نفس اللحظة التى هتف فيها (دافيد) ، فى أذن الطيَّار ، بكل شراسة الدنيا :

- أطلق المحركات النفاثة .

ضغط الطيَّار ذراع إطلاق المحركات النفاثة ، فازدادت سرعة الطائرة بغتة ، واندفعت إلى الأمام على نحو مفاجئ ، اختلّ معه توازن الحارس الإسرائيلى الثانى ، فهوى من الطائرة ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها (سمير) نحوها بسيَّارته .

وهتف (عارف) :

- احترس يا (سمير) .

حاول (سمير) أن يتفادى الحارس ، فانحرف بالسيارة على نحو مباغت ، ولكن الحارس ارتطم بزجاجها الأمامى فى عنف ، وحطَّمه فى قوة .

وانحرف (سمير) بالسيارة أكثر ..

وأكثر ..

وتجاوز ممر الإقلاع ..

ثم مالت السيَّارة على نحو مخيف ، و ...

وانقلبت ..

وفى عنف ، راحت السيارة تتدحرج وسط الحقول ، قبل أن تستقر مقلوبة رأسًا على عقب ..

وبكل صعوبة ، دفع (عارف) جسده خارج السيَّارة ، وهو يهتف :

- (سمير) .. أأنت بخير ؟!

لم يكد ينطق بعبارته ، حتى تجمَّدت الدماء فى عروقه ، واتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يحدِّق فى الطائرة ، التى ارتفعت عن ممر الإقلاع بالفعل ، وانطلقت حاملة (قدرى) ، فى طريقها إلى آخر دولة فى الكون ، يتمنى الذهاب إليها ..

إلى (إسرائيل) ..

مباشرة ..

★ ★ ★

إحدى وعشرون ثانية تبقَّت ، قبل انفجار المقعد ..

وبكل مهارته وسرعته ، دفع (أدهم) جسده فى الهواء ، نحو الأمريكى ومقعده ..

كان يجيد التحكم فى اتجاه جسده وسرعة هبوطه ، بحكم خبرته الطويلة فى الهبوط بالمظلات ، منذ عمله فى القوات الخاصة[*] ..

(★) راجع قصة (الخطوة الأولى) .. المغامرة رقم (٣١) .

ولقد فوجئ به الأمريكى يتشبث بمقعده ، فهتف به فى حدة :

- ماذا تفعل أيها المجنون ؟! المقعد سينفجر بعد قليل .

تجاهل (أدهم) قوله تمامًا ، وراح يضغط ذلك الزرالأزرق فى قوة ، إلا أنه بات من الواضح أن الزر لن يستجيب ، والأمريكى يهتف :

- لا فائدة .. اتركنى أيها المصرى .. لا ينبغى أن نلقى مصرعنا معًا .. فليبق أحدنا ليواجه تلك اللعينة .

قال (أدهم) فى حزم :

- ولِمَ لا نبقى معًا ؟!

كان الوقت يمضى فى سرعة ، والزر الأزرق يرفض الاستجابة ، لذا فقد انتزع (أدهم) خنجرًا من حزامه ، وهو يقول :

- فليكن أيها الأمريكى .. يبدو أننا سنتشارك فى مظلة واحدة .

قالها ، ومزّق حزام مقعد الأمريكى بضربة واحدة من خنجره ، ثم هتف به :

- تشبَّث بى جيدًا .

ثم أمسك الأمريكى بكل قوته ، واندفع به بعيدًا عن المقعد ..

وفى توتر بالغ ، هتف (بلاك) :

- أنت مجنون أيها المصرى .. مجنون تمامًا .. مظلتك لن تحتمل ثقلنا معًا ، بكل أسلحتنا وعتادنا ، و ...

قاطعه (أدهم) :

- اصمت .

ومع آخر حروف كلماته ، دوى الانفجار ..

انفجر المقعد ، على مسافة عشرين مترًا منهما ، وتناثرت شظاياه فى دائرة واسعة ، وهما يهبطان إلى المنطقة شبه المظلمة ، تحت السحب الكثيفة ..

وفى عنف ، ارتطمت بهما موجة من الهواء البارد كالثلج ، وشعرا بأطرافهما تكاد تتجمَّد ، كما غلفهما الظلام فجأة ، على الرغم من أنهما فى قلب النهار ، فهتف (بلاك) :

- يا للشيطان ! وكأننا نغوص فى قلب جبل من الثلج .

جذب (أدهم) حزام مظلته ، وهو يقول :

ـ لست أجد فارقًا كبيرًا .

انفتحت مظلّته ، وسط الجليد المنهمر ، ولكن سرعة هبوطهما لم تنخفض كثيرًا ، مما جعل (بلاك) يقول :

ـ لن تحتملنا المظلة معًا .

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ـ اصمت .

هتف (بلاك) فى عصبية :

ـ ماذا تتوقَّع ؟! أن تجاملك قوانين الجاذبية ، لمجرَّد أنك رجل مخابرات فذ ؟!

أجابه (أدهم) :

ـ بل أتوقَّع أن تستخدم خبرتك ومهارتك ، لتفادى عنف السقوط ، عندما تحين اللحظة المناسبة .. أما زلت تذكر هذا ؟! إنك تضمّ ركبتيك إلى صدرك ، وتتدحرج فور ملامستك الأرض ، و ...

قاطعه (بلاك) فى عصبية :

ـ نعم .. إننى أذكر هذا .

كانا يهبطان بسرعة كبيرة نسبيًا ، فقال (أدهم) :

ـ من حسن الحظ أن السحب الكثيفة ، والثلوج

المنهمرة ، تجعل الرؤية ضعيفة ، والإضاءة منخفضة ، حتى لا يرصد أحدهم هبوطنا .

غمغم (بلاك) ، وهو يراقب قمم الأشجار تحته فى قلق :

ـ هناك شىء جيِّد على الأقل .

اقتربا من الأشجار العالية فى سرعة ، فهتف (أدهم) :

ـ استعد .

ارتطم جسداهما ببعض الأغصان الطويلة ، التى مزَّقت مظلة (أدهم) ، واعترضت سرعة الهبوط فى عنف ، فانتزع (أدهم) خنجره مرة أخرى ، وهتف بالأمريكى فى حزم :

ـ اقفز .

انطلق هتافه ، وهو يمزِّق خيوط المظلَّة فى سرعة ..

وتحرَّر جسداهما ، على ارتفاع عشرة أمتار ، من الأرض المغطاة بالجليد ..

وهويا معًا بسرعة مخيفة ..

وفى آن واحد تقريبًا ، ضمّ كلاهما ركبتيه إلى صدره ،

وأخفى رأسه بينهما ، قبل أن يرتطم بالجليد ، ويتدحرج فوقه لبعض الوقت ..

وما أن استقرَّ جسداهما ، حتى قفز (أدهم) واقفًا على قدميه ، وهو يهتف :

ـ (بلاك) .. أأنت بخير ؟!

نهض الأمريكى ينفض الجليد عن ثيابه ، وهو يقول فى عصبية :

ـ هل تصدّق هذا ؟!

التقط (أدهم) من جيبه جهازًا إليكترونيًا أمريكى الصنع ، وألقى نظرة على شاشته الصغيرة ، قائلا :

ـ جهاز تحديد الموقع ، المرتبط بالأقمار الصناعية هذا(*) ، يشير إلى أننا قد هبطنا على مسافة كيلومترين ، جنوب شرق الهدف ، وسيعنى هذا أن

(*) جهاز تحديد الموقع المرتبط بالأقمار الصناعية ، عبارة عن جهاز بسيط ، يبث ذبذبة منتظمة ، يتم التقاطها عن طريق شبكة من الأقمار الصناعية ، ترصد موقع الذبذبة ، وتحدد موقع بثها على خريطة العالم ، ثم ترسل ذبذبة أخرى ، لنقل هذا التحديد إلى الجهاز نفسه ، ولقد تم إنتاجه فى البداية كسلاح عسكرى خاص .

علينا أن نسير ثلث ساعة أخرى ، وسط هذا الجليد(*) .

غمغم (بلاك) فى سخط :

ـ اللعنة .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ لِمَ لم تحاول التغلب على حالة السخط الدائم هذه ، وتبذل بعض الجهد للتغلب على الموقف ؟

قال الأمريكى فى حدة :

ـ أعفنى من نصائحك .

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وبدأ سيره وسط الجليد ، فى اتجاه الهدف ، و ...

وفجأة ، توقَّف دفعة واحدة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، فسأله (بلاك) فى شىء من العصبية :

ـ ماذا هناك هذه المرة ؟!

أرهف (أدهم) سمعه لحظة أخرى ، ثم لم يلبث

(*) سرعة الإنسان العادى ، فى الظروف الطبيعية ، تبلغ ستة كيلومترات / ساعة ، وفى ظروف السير على الرمال أو الجليد ، تنخفض هذه السرعة إلى النصف تقريبًا ، إلا بالنسبة لمن تلقوا تدريبات خاصة لمواجهة مثل هذه الظروف .

أن اندفع نحوه ، ودفعه أمامه نحو إحدى الأشجار الكثيفة ، وهو يهتف :

ـ لقد وصلنا متأخرين .

لم يفهم (بلاك) ما يعنيه (أدهم) فى البداية ، وهمّ بقول شىء ما ، لولا أن تناهى إلى مسامعه بغتة نفس الهدير ، الذى التقطته أذنا (أدهم) الحساستان من قبل ، فرفع عينيه إلى السماء فى سرعة ، ورأى سرب طائرات الهليوكوبتر المقاتلة ينطلق نحو الهدف ..

وكان هذا يعنى أن (سونيا جراهام) قد سبقتهما بالفعل ، على الرغم من كل ما فعلاه ، وأنها ستبدأ الخطوة الأولى من حربها المحدودة ..

حرب أفعى ..

ضد أفعى ..

★ ★ ★

« الرادار رصد طائرات هليوكوبتر تتجه نحونا .. »

نطق (لورانزو) العبارة فى توتر بالغ ، فالتقطت (السنيورا) نفسًا عميقًا من سيجارتها ، فى محاولة للسيطرة على توترها بدورها ، قبل أن تغمغم :

ـ أخبر منصات صواريخ الدفاع الجوى أن تستعد .

ضغط (لورانزو) زر جهاز الاتصال اللاسلكى ، وهو يقول :

ـ الفريق (أ) .. استعد .

ثم أوقف الاتصال ، وهو يسألها فى قلق :

ـ هل ستطلقين الصواريخ المضادة للطائرات بالفعل ؟!

أجابته فى حزم :

ـ لو حاولت (سونيا) الاقتراب بها ، فلن أتردَّد فى هذا .

قال فى عصبية :

ـ ولكنك بهذا تشعلين حربًا شعواء يا (سنيورا) .

قالت فى حدة :

ـ وماذا فى هذا ؟! من حقى أن أدافع عن وجودى .

أجاب فى توتر بالغ :

ـ ولكن معسكر الاعتقال الرئيسى على مسافة كيلومترات قليلة منا ، وحرب كهذه ستبلغ مسامعهم حتمًا ، وستثير كل شكوكهم وقلقهم ، وربما تدفعهم لإبلاغ السلطات العسكرية ، و ...

قاطعته فى صرامة :

ـ هذا لا يهم .

هتف فى دهشة مستنكرة :

ـ لا يهمّ ؟!

أجابته فى صرامة أكثر :

ـ بالطبع لا يهمّ أيها الغبى ، فبعد ساعتين فحسب من الآن ، ستصبح بحوزتى قنابل ذرية حقيقية ، وسيعنى هذا أن أحدًا لن يجرؤ على المساس بى ، حتى ولو أعلنت موقعى ، عبر شبكات (سى. إن. إن) الإخبارية .. دعنا نشعل حربنا ، وليبلغوا كل السلطات .. المهم أن نظفر بـ (سونيا جراهام) ، قبل أن تظفر هى بنا .

مع آخر حروف كلماتها ، انبعث من جهاز اللاسلكى ، فى يد (لورانزو) ، صوت قلق ، يقول فى توتر :

ـ طائرات الهليوكوبتر تواصل الاقتراب .. نطلب الإذن بالتعامل معها .

انعقد حاجبا (السنيورا) ، وهى تقول :

ـ عجبًا ! لم أكن أتصوَّر أن تبادر (سونيا) بهجوم مباشر كهذا !

وهتف (لورانزو) :

ـ ماذا نفعل الآن يا (سنيورا) ؟!

انعقد حاجباها أكثر ، وراحت تعيد دراسة الموقف فى رأسها بسرعة ، قبل أن ترفع عينيها إليه ، وتقول فى صرامة حاسمة :

ـ أطلقوا الصواريخ .

هتفت (لورانزو) عبر جهاز الاتصال اللاسلكى :

ـ أطلقوا الصواريخ .

لم يكن هتافه قد اكتمل بعد ، عندما انطلقت ستة صواريخ إليكترونية ، مضادة للطائرات ..

وكانت مفاجأة حقيقية لقادة طائرات الهليوكوبتر ..

فعندما تقاضوا تلك المبالغ الضخمة ، مقابل الهجوم على مفاعل نووى قديم ، فى قلب (سيبيريا) ، كانوا يتصوَّرون أن الأمر لن يعدو مجردُ نزهة قتالية ، ينسفون خلالها الهدف ، دون أدنى مقاومة ، ثم يعودون إلى (ياكوتسك) ، لينفقوا ما تقاضوه على الخمر والنساء كالمعتاد ..

فأيّة مقاومة يمكن أن يتوقّعها المرء ، فى مفاعل ذرى قديم ؟!

ومن سوء حظهم أيضًا أن تلك الصواريخ المضادة

للطائرات ، التى استخدمتها (السنيورا) ، كانت من أحدث طراز معروف ، فى هذا المضمار ..

طراز يطارد الهدف فى إصرار وإلحاح ، ولا يهدأ أبدًا ..

إلا إذا ظفر به ..

ولقد حاول الطيارون مراوغة تلك الصواريخ ..

أو الفرار منها ..

ولكن كل هذا لم يُجْد ..

لقد أصابت الصواريخ الستة أهدافها ..

وبمنتهى الدقة ..

وفى ثوان معدودة ، دوت ستة انفجارات رهيبة ، فى سماء (سيبيريا) ، وتحولَت ست طائرات هليوكوبتر ، بكل ركابها وأسلحتهم ، إلى كتل من النيران ، هوت إلى الجليد ..

وفى هلع مذعور هبطت طائرتا الهليوكوبتر المتبقيتان وسط الثلوج ، وقفز الرجال منها يجرون مبتعدين ، بكل ما أوتوا من قوة ..

ومن خلفهم انطلق صاروخان آخران ..

وانفجرت طائرتا الهليوكوبتر على الأرض ..

وفى انبهار تام ، نفثت (السنيورا) دخان سيجارتها ..

صحيح أنها كانت تدرك تمامًا أن لديها أحدث صواريخ دفاعية مضادة للطائرات ..

إلا أنها لم تكن تتوقَّع قط هذا الانتصار الساحق .. والسريع ..

لذا ، فقد ظلَّت صامتة ، مبهوتة ، مبهورة ، لنصف دقيقة كاملة ، قبل أن يهتف بها (لورانزو) :

ـ برج المراقبة رصد ما يقرب من عشرين رجلاً مسلحين ، ينتشرون وسط الأشجار ، فى محاولة للتقدُّم نحو المدخل الرئيسى .

عندئذ انتزعت نفسها من انفعالها ، وأشارت بسبَّابتها ، قائلة :

ـ ماذا عن أنابيب الوقود ؟!

أجابها ، وقد سرت فى عروقه نشوة الانتصار :

ـ كلها فى أماكنها .

تألَّقت عيناها ، وهى تنفث دخان سيجارتها مرة أخرى ، مغمغمة :

ـ دعهم يقتربون إذن .

فى نفس اللحظة ، التى نطقت فيها عبارتها ، كان (أدهم) و(بلاك) يراقبان الموقف من بعيد ، عبر منظارين مقربين ، والثانى يقول فى توتر :

ـ يا للشيطـان ! إنهـا مذبحـة حقيقيـة !! أراهنك على أن أكثر من خمسين رجلاً لقوا مصرعهم على الأقل ، مع انفجار طائرات الهليوكوبتر .

غمغم (أدهم) فى حزم :

ـ ستون .

سأله (بلاك) فى توتر :

ـ وكيف يمكنك الجزم أيها العبقرى ؟! لقد انفجـرت الطائرات فى السماء ، قبل حتى أن تبلغ الهدف !

أجابه (أدهم) ، وهو يراقب الموقف فى اهتمام :

ـ الطائرتان اللتان هبطتا ، كانتـا تضمَّـان عشرين شخصًا ، بواقع عشرة أشخاص فى كل هليوكوبتر .

شعر (بلاك) بالحرج ، مع دقة ملاحظة (أدهم) ، فغمغم فى عصبية :

ـ هكذا !

قال (أدهم) فى اهتمام :

ـ ليست هذه هى المشكلة ، فهناك أمر آخر ، يثير اهتمامى وقلقى أكثر .

سأله (بلاك) فى حذر :

ـ وما هو ؟!

أشار (أدهم) بيده ، مجيبًا :

ـ لـو أن (سونيا جراهـام) هى التـى تقـود هذا الهجوم ، فمن المستحيل أن تتصرَّف بهذه الحماقة ! لقد انقضَّت طائرات الهليوكوبتر على الهدف مباشرة ، دون مناورة أو مواربة ، وكأنها تلقى بنفسها عمدًا فى الفخ .

مطَّ (بلاك) شفتيه ، قائلاً :

ـ أراهنك على أنهم لم يكونـوا يتوقعون رد الفعل العنيـف هـذا .. يـا للشـيطان ! صواريـخ مضـادة للطائرات ؟! من كان يتصوَّر هذا ؟!

غمغم (أدهم) :

ـ (سونيا) تتوقَّع أى شىء .

قال (بلاك) فى سخرية :

ـ من الواضح أنك تخشى تلك الإسرائيلية كثيرًا ، فأنت تضفى عليها من الـ ...

قاطعه (أدهم) فجأة فى صرامة :

ـ مهلاً .. الرجال يقتربون من المفـاعل ، دون أية مقاومة ، وهذا أيضًا لا يبدو طبيعيًا ، أو ...

قبل أن يكمل عبارته ، تفجَّرت فجـأة كميات كبيرة من الوقـود السـائل ، على الرجـال العشـرين الذيـن

باغتهم الأمر ، فراحوا يطلقون رصاصات مدافعهم الآلية فى ذعر ، جعل (أدهم) يهتف فى توتر :

ـ أيها الأغبياء ..

كان قد أدرك بخبرته وحنكته ما لم ينتبه إليه كل هؤلاء المرتزقة ..

فشرارة واحدة كانت كافية ، لتشتعل النيران فى كل كميات الوقود دفعة واحدة ..

وتحوَّل الرجال العشرون ، فى لحظة واحدة ، إلى كتل من اللهب ، تعدو صارخة فى كل مكان ، وسط الجليد اللامتناهى ..

وفى مرارة ، غمغم (أدهم) ، وهو يراقب ذلك المشهد الرهيب :

ـ يا للبشاعة !

أما (السنيورا) ، فقد تألَّقت عيناها فى ظفر ، وهى تراقب المشهد على شاشتها ،وهتفت :

ـ ها هو ذا جيش (سونيا) يحترق ، ليضىء لى طريق النصر .. الآن فقط أصبحت واثقة من الظفر .. لقد هزمت أقوى امرأة عرفها عالم المخابرات .. هزمت (سونيا جراهام) .

« محال .. »

انطلقت الكلمة من خلفها ، فاستدارت مع (لورانزو) إلى مصدرها فى سرعة ، ورفع هذا الأخير فوهة مدفعه الآلى ، و ...

وقبل أن تكتمل حركته ، انطلق سيل من الرصاصات يخترق جسده ، وينتزعه من مكانه فى عنف ، ليلقى به عند قدمى (كلوديا) ، التى اتسعت عيناها فى ذهول ، وهى تحدِّق فى تلك الابتسامة الساخرة الظافرة ، التى حملها وجه آخر مخلوق فى الدنيا ، يمكن أن تتخيَّل رؤيته ، فى هذا المكان ، وفى هذه اللحظة بالتحديد ..

وجه (سونيا) ..

(سونيا جراهام) .

* * *





انطلق سيل من الرصاصات يخترق جسده ، وينتزعه من مكانه في عنف ، ليلقى به عند قدمى (كلوديا) ..

٧ - أفعى .. وأفعى ..

لا أحد يمكنه أن يصف أو يتخيَّل مشاعر (كلوديا موريس) ، فى تلك اللحظة ، وهى تحدِّق فى وجه (سونيا) ، التى بدت أشبه بصورة مجسَّمة مثالية للظفر والنصر والسخرية والشماتة ، وقد أحاط بها خمسة من المرتزقة بمدافعهم الآلية ، المصوَّبة كلها نحو (كلوديا) ..

(كلوديا) ، التى قضت العام الأخير من عمرها متصوِّرة أن (سونيا) قد قضت نحبها فى جزيرة (هيل) ، وأنها قد ورثت زعامتها لمنظمات الجاسوسية الخاصة ، ومشروعها النووى العملاق ، للسيطرة على العالم أجمع ..

أما (سونيا) ، فقد تقدَّمت نحوها فى بطء وخيلاء ، ولوَّحت بأصابعها فى الهواء ، فى أناقة متغطرسة ، وهى تقول بالفرنسية :

- رويدك يا عزيزتى (كلوديا) .. لا تحدِّقى فى

وجهى هكذا مفغورة الفاه كالبلهاء .. إنه ليس كابوسًا .. إنه أنا .. أنا (سونيا جراهام) .. (برجيت فرانسوا) ، شريكتك السابقة فى (ملائكة الجحيم) ، بشحمى ولحمى .. أما زلت تذكريننى ؟!

كانت (كلوديا) تشعر بغضب ومرارة شديدين ، حتى لتكاد أطرافها تصاب بالشلل ، من فرط الغيظ والقهر ، إلا أنها بذلت جهدًا خرافيًا تحسد عليه ، للسيطرة على توترها وانفعالها ، وحاولت أن تشعل واحدة من سجائرها ، وهى تقول :

- إنها مفاجأة حقيقية يا (سونيا) .

ثم ناولتها سيجارة أخرى ، مستطردة :

- لم أكن أتوقع رؤيتك بالفعل ، فقد تصوَّرت أنك ترقدين الآن وسط الجليد ، جثة هامدة محترقة ، كما حدث للعشرات من رجالك .

أطلقت (سونيا) ضحكة ساخرة قصيرة ، وهى تجلس على المقعد المواجه لـ (السنيورا) ، ووضعت إحدى ساقيها فوق الأخرى ، قائلة :

- ليس هذا بالأمر السهل يا عزيزتى (كلوديا) .. (سونيا جراهام) لا يمكن التخلص منها بهذه البساطة .

ثم ألقت نظرة على السيجارة ، التى ناولتها إياها ، مستطردة :

- عجبًا ! إننا نتشابه فى كثير من الصفات يا عزيزتى (كلوديا) ، حتى إن الجميع قد شعروا بالحيرة ، وهم يحاولون معرفة من منا التى تحمل لقب (السنيورا) .

قالت (كلوديا) فى صرامة :

- توجد (سنيورا) واحدة فقط يا (سونيا) .

هزَّت (سونيا) كتفيها ، قائلة :

- ولكن هذا لا يمنع أننا متشابهتان ، فى كثير من الأمور .. إننا حتى ندخن نفس النوع من السجائر .

ثم مالت نحوها ، ولوَّحت بالسيجارة الطويلة فى وجهها ، مضيفة فى سخرية :

- بل وكل منا تستخدم سيجارة مسمومة وسط علبتها .

احتقن وجه (كلوديا) ، وهى تقول فى سخرية عصبية :

- آه .. هل أعطيتك السيجارة المسمومة ؟! يا لها من مصادفة !

قهقهت (سونيا) ضاحكة ، فى جذل عجيب ، وألقت السيجارة المسمومة بعيدًا ، وهى تقول :

- ألم أقل لك : إننا متشابهتان يا عزيزتى ؟

ثم نهضت من المقعد بحركة حادة ، والتقطت سيجارة من علبتها الخاصة ، وأشعلتها ، متابعة فى صرامة مباغتة :

ـ ولكن شتان بين عقليتى وعقليتك ، أو خبرتى وخبرتك يا عزيزتى (كلوديا) ، فمهما بلغت عبقريتك وخطورتك ، ما زلت مجرَّد سيِّدة أعمال ثرية ، وُلِدَت وفى فمها ملعقة من الذهب .. بل من الماس ، وكل ما تسعى إليه هو إثبات القوة والتفوّق ، يدفعها إلى هذا غضب هادر ، ورغبة مجنونة فى الانتقام ، وخبرتك لا تعدو خبرة التعامل فى سوق المال والأعمال .. إنك ما زلت تتعاملين مع الأمر وكأنه مجرَّد صفقة تجارية ، لا بد أن تربحيها على نحو مدهش ، يبهر العالم كله .

واستدارت إليها فى حدة ، متابعة :

ـ أما أنا فخبيرة حقيقية فى هذا المضمار ، وخبرتى تمتدَ إلى العمل فى الجيش الإسرائيلى ، ثم فى صفوف (الموساد) ، بكل ما يعنيه هذا من معاناة وقسوة وتدريبات مكثفة ، ومواجهات عنيفة ، يكون الفارق بين الحياة والموت فيها هو حسن التفكير والتدبير .

وتوقَّفت لحظة لتلتقط أنفاسها ، وتسيطر على مشاعرها الفيَّاضة ، قبل أن تضيف ، وقد استعادت ابتسامتها الساخرة الظافرة :

ـ تمامًا مثلما حدث هذه المرة .. كنت واثقة من أنك ستعلمين بأمر الهجوم ، بوسيلة أو بأخرى ، وأنك ستستعدين للتصدّى له ، وستكشفين اقتراب طائرات الهليوكوبتر حتمًا .. لذا فقد دفعت ثمانية من طائرات الهليوكوبتر إلى هجوم مباشر ، جذب انتباهك وانتباه رجالك ، فأطلقتم نحوهم صواريخكم ، ورأيتم الطائرات تنفجر وتسقط ، فتملكتكم نشوة النصر ، ولم ينتبه أحدكم إلى أننى قد درت دورة واسعة حول المفاعل ، وهبطت بطائرتىْ هليوكوبتر ، مع عشرين رجلاً مسلحين ، خلف المكان بكيلومتر كامل ، بعد أن حلقت على ارتفاع منخفض ، وسط الأشجار المتجمِّدة ، على نحو يعجز معه الرادار عن رصدنا ، ثم قمنا بشن هجوم خلفى غير متوقَّع ، فى نفس اللحظة التى اشتعلت فيها النيران ، على بعد أمتار من واجهة المفاعل ، وقبل أن يفيق الجميع من نشوتهم ، كنا قد ذبحناهم كالنعاج ، وسيطرنا على المكان .

احتقن وجه (كلوديا) فى غيظ ، فـى حين أطلقت (سونيا) ضحكة ساخرة ، وهى تكمل :

- كلكم كانت تنقصكم الخبرة ، فلم تحـاولوا حمايـة المؤخرة .

قالت (كلوديا) فى حدة :

- بل لم نتصورً أن تضحى بثمانين فى المـائة من رجالك ، فى سبيل النصر .

ارتفع حاجبا (سونيا) ، وهى تهتف ساخرة :

- رجالى ؟! ومن قـال إنهم رجالى ؟! إنهم مجردً مجموعة مـن المرتزقـة ، تقـاضوا أجرهـم ليقـاتلوا ويقتلوا .. من يبالى بهم ؟

ثم مالت نحوها ، مضيفة :

- المهم أننى انتصرت .

انعقد حاجبا (كلوديا) فى غضب هادر ، وهى تقول :

- هل أصفق إعجابًا ؟!

أطلقت (سـونيا) ضحكـة سـاخرة أخـرى ، وهـى تقول :

- لا يا عزيزتى (كلوديا) .. لست بالقسوة الكافية ، لأطلب منك هذا .

حاولت (كلوديا) أن تتماسك ، إلا أن كلماتها أتـت على الرغم منها عصبية ، وهى تقول :

- حسنًا يا (سونيا) .. ما الخطوة التالية ؟!

هزّت (سونيا) كتفيها ، ونفثت دخان سيجارتها ، وهى تجيب :

- ستعود الأمور إلى نصابها يا عزيزتى .. سأستعيد مشروعى النووى ، وسيطرتى الكاملة على الأمور ، وكل المكاسب المقبلة .

ثم استدركت فى سرعة ، بتعاطف ساخر :

- ولكننى سأترك لك نصيبك بالتأكيد .

وعادت تميل نحوها ، وتتطلّع إلى عينيها مباشرة ، مستطردة :

- سأسمح لك بالاحتفاظ بلقب (السنيورا) .

ثم انتزعت مـن حزامها مسدسًا ، وصوّبتـه إلـى رأس (كلوديا) ، هاتفة :

- سابقًا .

وفجـأة ، وبكـل المشـاعر المختنقـة فـى أعماقهـا ، انفجرت (كلوديا) صارخة بغتة :

- اذهبى إلى الجحيم .

وقفزت يدها بغتة ، لتقبض على معصم (سونيا) ، وترفع فوهة مسدسها عاليًا ، وقبضتها الأخرى تهوى على فكها بلكمة كالقنبلة ، وهى تطلق صرخة ثائرة قوية ..

وفى لحظة واحدة ، كانتا تشتبكان مع بعضهما ، وكل منهما تقاتل كنمرة شرسة ، تدافع عن صغارها ..

والعجيب أن أحدًا من رجال (سونيا) لم يحاول التدخل لفض المشاجرة ..

فربما راق لهم أن يتابعوا فى شغف ، ذلك القتال الرهيب ، الذى لن تتاح لهم الفرصة قط لرؤيته مرة أخرى ..

قتال أفعى ..

وأفعى ..

★ ★ ★

لم يكن رجال (السنيورا) وحدهم من وقعوا ضحية نشوة النصر ، وتكاسلوا عن حماية المؤخرة ..

فرجال (سونيا) أيضًا أسكرهم الظفر ، وملأ عروقهم بالزهو والغرور ، وهم ينتشرون فى المفاعل ، للسيطر على كل ركن فيه ، وتسلق أربعة منهم أبراج

المراقبة ، فى أركان السور المحيط به ، فى حين وقف ثلاثة عند البوابة الأمامية وانتشر خمسة آخرون فى ساحته ، أما الثلاثة الباقون ، فقد اقتحموا معمل العلماء الأربعة ، وصاح بهم أحدهم ، وهو يلوّح بمدفعه الآلى :

ـ فليبق كل فى مكانه .. لقد تم احتلال المفاعل .

ارتبك علماء الذرة واضطربوا ، وسادت موجة من الذعر بين العاملين فى المفاعل ، وهتف (استروتيسكى) :

ـ ماذا حدث ؟! أأ .. أأنتم من القوات الروسية ؟!

صاح به الرجل فى غلظة :

ـ إننا نتبع السيّدة يا رجل ... القائد الجديد لهذا المكان .

تبادل العلماء الأربعة نظرة مذعورة ، قبل أن يسأل (بولانسكى) فى حذر :

ـ السيّدة أم (السنيورا) ؟!

صاح به الرجل فى قسوة :

ـ سنيوركم انتهى أمرها يا رجل .. منذ هذه اللحظة ستدينون بالولاء للسيّدة الجديدة ، وستعملون تحت لوائها .

لم يفهم العلماء الأربعة والعاملون بالمكان ما الذى يعنيه هذا ؟!

وما الفارق الذى يصنعه ؟!

كل ما أدركوه هو أنه هناك انقلاب ما فى السلطة ..

انقلاب استلزم القضاء على كل طاقم الحراسة السابق ، وظهور هؤلاء القتلة الجدد ..

ولكن ما الذى سيؤدى إليه هذا ؟!

وهل ستتغيَّر الأمور ، أم تبقى على حالها ؟!

كل هذا يجهلونه تمامًا ..

وفى مرارة ويأس ، تمتم (دى مال) ، وهو يشيح بوجهه إلى النافذة :

ـ لا فارق .. كلهم يسعون للسيطرة والدمار ، ونحن مجرَّد قطع شطرنج فى الـ ...

بتر عبارته فجأة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدِّق فى نقطة ما ، وسط الجليد المنهمر خارج النافذة ..

فهناك ، عند ركن السور الخلفى ، لمح رجلاً يثب فى خفة ، نحو اثنين من الحراس الجدد ، ويلكم أحدهما لكمة قوية ، ثم يدور حول نفسه ، ويركل الآخر فى فكه مباشرة ..

وفى أقل من ثانية واحدة ، كان ذلك الرجل قد اختفى بملابسه البيضاء وسط الجليد ، الذى يغطى كل شىء ..

وانفرجت شفتا (دى مال) ، لينطق شيئًا ما ..

إلا أنه لم يفعل ..

عامل مجهول فى أعماقه جعله يلوذ بالصمت ، وهو يستدير إلى الحارس الجديد ، وقد تسلَّل ارتياح عجيب إلى كيانه ..

ومن منبع ما فى أغواره ، انبعث صوت يؤكِّد أن ذلك القادم الجديد سيحمل معه الأمل ..

أمل النجاة الوحيد ..

والأخير ..

* * *

لم يكد أحد رجال (سونيا) يستقر ، داخل برج المراقبة ، فى الركن الشرقى من السور ، حتى أسند مدفعه الآلى إلى الجدار ، وأخرج من جيبه زجاجة من الفودكا ، وهو يغمغم فى توتر :

ـ يا له من برد قارس ! أتعشَّم أن تنتهى هذه المهمة فى سرعة ، فما فائدة المال ، لو لم يجد المرء فرصة لإنفاقه ؟!

ورفع الزجاجة إلى شفتيه ، و ...

وتم كل شىء فى لحظة واحدة ..

وبمنتهى العنف والقسوة ..

واتسعت عينا الرجل عن آخرهما ..

وتدفّقت الدماء فى غزارة ، من جرح قطعى برقبته ، فى نفس اللحظة ، التى وثب فيها (بلاك) إلى البرج ، ودفعه فى خشونة ، مغمغمًا :

ـ أنت على حق أيها الروسى القذر .. ما فائدة المال ، لو لم يجد المرء فرصة لإنفاقه .

قالها ، وأدار عينيه إلى ساحة المفاعل ، متتبعًا ذلك الظل الأبيض ، الذى راح يتحرّك فى خفة مدهشة ، نحو مدخل المفاعل ، ثم التقط من جيبه جهاز اتصال صغيرًا ، يحوى جسمًا أشبه بأطباق الإرسال القمرية ، وغرس ذلك الجسم فى طرف برج المراقبة ، ثم قال عبر جهاز الاتصال :

ـ نظرية رجل المخابرات المصرى كانت صحيحة .. وكر (السنيورا) داخل ذلك المفاعل الذرّى المجهول بالفعل ، فى قلب (سيبيريا) .. المدهش أن النظم الدفاعية هنا ضعيفة للغاية ، وكأنما لم يكن الهجوم

متوقَّعًا ، أو حتى محتملاً .. إننا نستطيع السيطرة على المكان ، قبل حتى أن يصل ذلك الكولونيل الروسى المأفون وجيشه .

نقل الجسم الشبيه بأطباق الإرسال حديثه ، عبر الأقمار الصناعية ، إلى قيادته فى (لانجلى) ، فأتاه على الفور صوت رئيسه ، وهو يقول :

ـ المهم تأمين المفاعل وضمان سلامته .. لا داعى للتهوّر ، حتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه .

راقب (بلاك) (أدهم) لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ إنها مهمة المصرى .. إنه يقتحم المبنى الرئيسى للمفاعل الآن .

قال رئيسه فى حزم :

إنه لها ... ليس لدينا شك فى قدرته على تحقيق ما نريد .

ثم استدرك فى صرامة :

ـ وأنت تعلم ما ينبغى عليك عمله ، بعد أن ينتهى من مهمته .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على ركن شفتى رجل المخابرات الأمريكى ، ومسح دماء الروسى المتجمِّدة على نصل خنجره فى سرواله ، وهو يجيب :

ـ نعم .. أعلم .. أعلم ما ينبغى عمله جيِّدًا .

فى نفس اللحظة ، كان (أدهم) يندفع نحو المبنى الرئيسى للمفاعل ، فى خفة مدهشة ، وهو يحمل مدفعًا آليًّا قصيرًا ، و ...

« أنت .. ماذا تفعل ؟! »

انبعث الصوت فجأة من خلفه ، فاستدار إليه فى سرعة مدهشة ، ووقع بصره على أحد رجال (سونيا) ، الذى بوغت برؤيته فرفع فوهة مدفعه الآلى نحوه ، هاتفًا :

ـ يا للشيطان ! إنك لست أحدنا .

وبخفة النمر ، وقوة الأسد ، وسرعة الكوبرا ، وثب (أدهم) نحوه ..

كان أهمّ ما لديه أن يمنعه من إطلاق رصاصات مدفعه بأى ثمن ، حتى لا ينبه الآخرين ، فتشتعل الأمور ، قبل أن يتوصَّل إلى وسيلة لتأمين المفاعل ..

وقبل أن تضغط سبَّابة الرجل زناد مدفعه ، وكانت قدم (أدهم) تركل هذا المدفع بعيدًا ، وقبضته تنقضّ على فك الرجل كالقنبلة ..

ومن المؤكد أن اللكمة كانت قوية عنيفة إلى أقصى حد ،



وقبل أن تضغط سبَّابة الرجل زناد مدفعة ، وكانت قدم (أدهم) تركل هذا المدفع بعيدًا وقبضته تنقضّ على فك الرجل ..

فقد اقتلعت الرجل من مكانه ، كما لو أن سيارة قد اصطدمت به ، ودفعته مترين كاملين إلى الخلف ، على الرغم من ضخامة جسده ، قبل أن يسقط مرتطمًا بالجليد فى عنف ..

ولكن العجيب أن هذه اللكمة الساحقة لم تفقده الوعى ..

لقد سقط على ظهره ، والدماء تتدفَّق من بين شفتيه ، ثم صرخ فى غضب ، وهو ينتزع قنبلة من حزامه :

ـ اللعنة ! إنها ..

وثب (أدهم) نحوه مرة أخرى ، وركله ركلة مباشرة فى أنفه ، وهو يغمغم :

ـ اصمت أيها الوغد .

كانت الركلة من العنف ، حتى كادت تنتزع أنف الرجل ، الذى تفجَّرت منه الدماء فى قوة ، ورأس الرجل يرتطم بالجليد ، فتجحظ عيناه ، وينفغر فاه ، و ...

وتسقط القنبلة من يده ..

ولو أردنا أن نصف الموقف بدقة أكثر ، فسنقول إن القنبلة لم تسقط من يده ، وإنما قفزت منها ..

قفزت على نحو عجيب ، وتدحرجت وسط الجليد فى عنف ، قبل أن تستقر على مسافة عدة أمتار ..

وبسرعة ، وقبل أن ينتبه الآخرون ، جذب (أدهم) الرجل فى قوة ، ودفعه نحو بوَّابة المبنى الرئيسى للمفاعل ..

وسقطت يد الرجل إلى جواره ، وانفتحت أصابعه ، ليسقط منها جسم معدنى صغير ..

ولم يكد بصر (أدهم) يقع على ذلك الجسم الصغير ، حتى انعقد حاجباه فى شدة ، وارتفعت عيناه فى سرعة نحو القنبلة ، المستقرَّة على الجليد ، على مسافة عشرة أمتار فحسب منه ..

فذلك الجسم الصغير كان فتيل القنبلة اليدوية ..

وبكل سرعته وقوته ، جذب (أدهم) جسد الرجل نحوه ، وهو يتراجع إلى البوَّابة ، و ...

ودوى الانفجار ..

انفجرت القنبلة ، على مسافة عشرة أمتار ، وأطلقت موجة عنيفة من التضاغط ، دفعته مع حمله إلى الخلف فى قوة ، ليرتطما بالبوَّابة ، ويقتلعاها من مكانها ، ويسقط الجميع داخل المبنى ، وسط عاصفة من الجليد والنيران والشظايا ..

وفى موقعه ، جذب (بلاك) مدفعه الآلى ، وهتف محنقًا :

ـ اللعنة ! لقد اشتعلت الأمور .

نطقها ، وهو يعلم جيِّدًا أن هذا الانفجار لن يعنى أن الأمور قد اشتعلت قبل الأوان ، أو أن المواجهة قد صارت حتمية فحسب ..

بل ربما يعنى أن المهمة كلها قد فشلت ..

تمامًا ..

★ ★ ★

لم يكد ذلك الانفجار يدوى ، فى ساحة المفاعل ، حتى توقَّفت (سونيا) و(كلوديا) عن القتال فى آن واحد ، والتقت عيونهما بنظرة سريعة ، وثبت بعدها (سونيا) واقفة على قدميها ، وهى تهتف برجالها الخمسة :

ـ ماذا تنتظرون ؟! اذهبوا لرؤية ما حدث .. أطلقوا النار لمجرَّد الشك .

اندفع الرجال الخمسة إلى الخارج ، فى نفس اللحظة التى قفزت فيها (كلوديا) إلى جزء من جدار حجرتها ، وأزاحته فى عنف ، وهى تدفع جثة (لورانزو) بقدمها جانبًا ، قائلة :

ـ كنت أتوقَّع هذا .

سألتها (سونيا) فى عصبية :

ـ ماذا تفعلين ؟!

أجابتها ، وهى تجذب إليها جهاز كمبيوتر صغيرًا ، من داخل الفجوة ، التى كشف عنها انزياح ذلك الجزء من الجدار :

ـ إجراء وقائى أخير .. فإذا ما تعقَّدت الأمور ، وبلغت ذروتها ، سيدفع الجميع الثمن غاليًا .

نقلت (سونيا) بصرها بين زىّ مشروع (السوبر مان) ، المعلَّق داخل الفجوة ، وجهاز الكمبيوتر الصغير ، الذى أشعلته (كلوديا) ، وراحت تضغط أزراره فى سرعة ، ثم قالت فى توتر ، وهى تشعل سيجارتها :

ـ هل ستقومين بنسف المكان ؟!

أجابتها (كلوديا) فى صرامة :

ـ إنهم لن يحصلوا على قنابلى الذرية ببساطة ، بعد كل ما فعلته .

تناهى إلى مسامعها دوى طلقات النيران فى الخارج ، فعقدت (سونيا) حاجبيها ، وهى تقول :

- إنه يبدو لى قتالاً محدودًا .. شخص أو شخصان على الأكثر .

قالت (كلوديا) فى عصبية ساخرة :

- وكيف يمكنك الجزم ؟!

لوَّحت (سونيا) بأصابعها فى الهواء ، متمتمة فى صرامة :

- هذا هو فارق الخبرة !

توقَّفت (كلوديا) عن التعامل مع أزرار جهاز الكمبيوتر الصغير ، وغمغمت فى توتر :

- شخص أو شخصان ؟!

ثم استدارت بنصفها العلوى كله إلى (سونيا) ، والتقت عيونهما وأفكارهما عند اسم واحد من بين كل الأحياء ، على ظهر البسيطة ..

اسم (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

★ ★ ★

دفع الانفجار جسد (أدهم) فى عنف ، مع جسد الرجل الضخم ، وبوَّابة المبنى الرئيسى للمفاعل ، ثلاثة أمتار على الأقل ، قبل أن يسقطوا أرضًا ، ولكن جسد (أدهم) لم يستقر وسط كل هذا سوى جزء من أربعة أجزاء من الثانية ، قبل أن يثب واقفًا على

قدميه ، ويحمل مدفعه الآلى ، ويندفع داخل المبنى ..

ومن خلفه دوت رصاصات المدافع الآلية ، عندما اشتبك (بلاك) مع رجال (سونيا) فى الساحة ..

وفى داخل المعامل ، هتف أحد الحراس الثلاثة فى العلماء الأربعة والعاملين بالمكان ، فى صرامة عصبية شرسة :

- إلى الجدار الغربى .. فليقف الجميع عند الجدار الغربى .. سأطلق النار على أوَّل من يتحرَّك منكم .

أسرع الجميع إلى حيث أشار ، وارتجف جسد (دى مال) فى انفعال ، وهو يهمس :

- إنها نجدة .. كنت أعلم أنها كذلك .. سيخرجوننا من هنا أخيرًا .

هتف به (استرونيسكى) فى هلع :

- المهم أن يخرجونا أحياء .

هزَّ (جولهى) رأسه فى عصبية ، وهو يقول :

- أحياء أو أموات .. لم يعد الأمر يعنينى .. لقد سئمت كل هذا ، ولم أعد أرغب فى العيش ، فى عالم قاس ظالم كهذا .

قال (بولانسكى) فى سخرية عصبية :

- عالم قاس ظالم ؟! إنك لم تر سوى الجانب المشرق من (سيبيريا) يا رجل .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى اقتحم (أدهم) المكان فى عنف ، وهو يطيح برتاج الباب ، برصاصات مدفعه الآلى ، فصاح قائد الحراس الثلاثة :

- اقتلوه .. لا تسمحوا له بالدخول .

ارتفعت فوهات المدافع الآلية الثلاثة نحو (أدهم) ، وانطلقت رصاصاتها فى غزارة ..

وقفز (أدهم) فى خفة ، وشعر بخيط من النار يحتكّ بذراعه اليسرى ، وهو يضغط زناد مدفعه !

واخترقت الرصاصات جسد أحد الرجال الثلاثة ، وأطاحت به كورقة فى مهب الريح ، واقتلعت المدفع الآلى من يد الآخر ، وانغرست فى فخذ الثالث ، الذى أطلق صرخة ألم عالية ، قبل أن يصوّب مدفعه الآلى إلى العلماء الأربعة والعاملين بالمكان ، وهو يهتف :

- سأقتل الجميع .. أقسم أن أطيح بهم جميعًا ، لو لم تلق مدفعك الآلى .

نهض (أدهم) يصوّب إليه مدفعه ، قائلاً فى صرامة :

- محاولة سخيفة يا رجل .

صرخ الرجل ، وهو يمسك فخذه المصابة فى عصبية بالغة :

- حاول أن تجربنى يا هذا .. أقسم أن أقتلهم بلا رحمة .

ثم صاح بزميله :

- التقط مدفعك يا (جرينكو) .. لا تسمح له بالسيطرة علينا .

التقط (جرينكو) مدفعه فى حذر ، و(أدهم) يقول :

- اسمعنى جيّدًا أيها الوغد .. إننى لا أميل فى المعتاد إلى إزهاق الأرواح ، ولكننى أحذّرك .. فإما أن تستسلم فورًا ، وتطلق سراح الجميع ، أو سأضطر لقتلك بلا رحمة .

صرخ الرجل ، وهو يجذب إبرة مدفعه الآلى فى عنف :

- أنت لا تصدّقنى إذن .. فليكن .. ها هو ذا الدليل .

قالها ، واستدار بكيانه كله نحو العلماء الأربعة ، فصرخ (جولهى) فى رعب هائل :

- لا .. لا تقتلنى .

وقفز (أدهم) إلى الأمام ..

ومع قفزته ، انطلقت من مدفعه رصاصة واحدة ، اخترقت رأس الرجل من الخلف ، ونسفته على نحو بشع ، لتتفجّر الدماء من جبهته ، وتضرب وجوه العلماء الأربعة ..

ومع قفزته ، أطلق (جرينكو) رصاصاته أيضًا ..

وفى ثانية واحدة ، أو نصف ثانية على الأرجح ،

كان جسد (أدهم) يدور فى الهواء ، مع فوهة مدفعه ، ليطلق النار على رأس (جرينكو) مباشرة ، ويطيح به ثلاثة أمتار ، قبل أن يسقط جثة هامدة ..

وقبل أن يستوعب الجميع ما حدث ، كان (أدهم) واقفًا على قدميه أمامهم ، يسألهم فى اهتمام :

- أأنتم جميعًا بخير ؟!

حدّقوا فى وجهه لحظة بذهول ، قبل أن يهتف (دى مال) :

- لقد أتيت لإنقاذنا .. أليس كذلك ؟!

ابتسم (أدهم) ، وربّت على كتفه ، قائلاً :

- بالتأكيد يا بروفيسير (دى مال) .. بالتأكيد .

تهللت أساريرهم جميعًا ، وهتف (استروتيسكى) :

- رائع .. عظيم .. كنت أعلم أنكم ستصلون فى النهاية ..

ثم سأله فى لهفة :

- أنت أمريكى .. أليس كذلك ؟!

أدار (أدهم) عينيه إليه فى بطء مجيبًا :

- بل مصرى أيها الإسرائيلى .

انتفض جسد (استروتيسكى) ، وهو يقول ذاهلاً :

- مصرى ؟!

ومع آخر حروف كلماته ، دوت الرصاصات ..

وتحطّمت نوافذ المبنى فى عنف ..

وبصرامة حازمة آمرة ، هتف (أدهم) :

- فلينبطح الجميع أرضًا .

وبلا مناقشة ، وبسرعة مدهشة ، نفذ الجميع أوامره ، فى نفس الوقت الذى راح هو فيه يتبادل إطلاق النار مع رجال (السنيورا) ، الذين حاصروا المبنى ..

كانوا عشرة رجال ، يطلقون النار على المبنى الرئيسى من كل الاتجاهات ، فى حين ركّز ثلاثة آخرون نيرانهم على برج المراقبة ، الذى يحتله (بلاك) ، والذى أطلق منه نيرانه عليهم ..

وأطاحت رصاصات (أدهم) بثلاثة من الرجال العشرة ، فى حين أسقط (بلاك) أحد خصومه الثلاثة ، قبل أن يشعل الآخران النيران ، فى قاعدة برج الحراسة ، الذى يحتمى به ..

وفى هلع ، هتف (بولانسكى) :

- كم عدد الرجال ، الذين أتوا معك أيها المصرى ؟!

أجابه (أدهم) فى حزم :

- رجل واحد .

صرخ (جولهى) فى رعب واستنكار :
- رجل واحد ؟! هل أصابكما الجنون لتأتيا وحدكما ؟!
هتف به (أدهم) ، وهو يواصل إطلاق النار :
- الإمدادات فى الطريق .
غمغم (دى مال) فى مرارة :
- عظيم .. سنجد إذن من يدفن جثثنا .
لم تكن عبارته قد اكتملت بعد ، عندما سقطت قنبلة يدوية منزوعة الفتيل إلى جواره ، وتدحرجت حتى قدميه ، فى نفس اللحظة التى سقطت فيها ثانية ، عند الركن الأقصى للمكان ، وثالثة فى منتصفه تقريبًا ..
وبكل ذعر الدنيا ، حدَّق (دى مال) فى القنبلة عند قدميه ، وهو يصرخ :
- إنها .. إنها قنبلة .
أدار (أدهم) عينيه فى القنابل الثلاث بسرعة ، وتساءل ترى كيف يمكن أن ينجو من مأزق كهذا ؟!
كيف ؟!
كيف ؟!

* * *

٨- الفرصة الأخيرة ..

أطلق رجل المخابرات الأمريكى (بلاك) رصاصاته فى غزارة ، من برج المراقبة ، ثم تراجع متفاديًا رصاصات رجال (سونيا) ، وهو يغمغم فى حنق :
- عظيم .. على الرغم من البرودة والجليد ، تنتشر النيران بسرعة مدهشة فى هذا البرج اللعين .
ثم التقط من حزامه قنبلة يدوية ، مستطردًا :
- يبدو أنه لا يوجد سبيل آخر .
وبأسنانه ، انتزع فتيل القنبلة ، واندفع إلى الأمام ، ليلقيها بكل قوته ..
ورأى رجال (سونيا) القنبلة تسقط ، فانطلقوا يعدون مبتعدين فى ذعر ..
ولكن العجيب أن (بلاك) لم يكن يستهدفهم بقنبلته ..
وإنما كان يستهدف القاعدة ..
قاعدة البرج نفسه ، الذى يحتمى به ..
وانفجرت القنبلة حيث أراد بالضبط ..

ونسفت قاعدة البرج ..

ومع الانفجار ، مال البرج على نحو مخيف ، وتلاشت النيران ، المشتعلة فيه ، مع موجتى التضاغط والتخلخل ، اللتين صاحبتا الانفجار ..

ووثب (بلاك) ..

وثب إلى الجليد الكثيف ، فى ساحة المفاعل ، وتدحرج فوقه لحظة ، قبل أن يعتدل ، ويطلق رصاصات مدفعه الآلى ، هاتفًا :

ـ هأنذا بينكم الآن أيها الأوغاد ..

وتراجع رجال (سونيا) ، ليطلقوا رصاصاتهم نحوه ..

واخترقت رصاصة ذراعه اليسرى ..

وأخرى غاصت فى فخذه ..

وثالثة كادت تغوص فى عنقه ..

وفى الوقت ذاته أطاحت رصاصاته بثلاثة من رجال (السنيورا) ، وهو يصرخ فى انفعال :

ـ لن تظفروا بى أبدًا أيها الأوغاد .. لن تظفروا بى حيًا أيها الـ ...

وفجأة ، وقبل أن يتم عبارته ، دوى انفجار من خلفه ..

انفجار قوى ، انبعثت نيرانه من نوافذ المبنى الرئيسى ، واندفعت معه موجة ساخنة كالجحيم ، دفعت (بلاك) أمامها فى عنف ، ليسقط على وجهه أرضًا ، وسط الجليد فى الساحة ..

وبكل توتره ، استدارت عيناه إلى المبنى الرئيسى ، الذى اشتعلت فيه النيران ، وهتف :

ـ يا للشيطان ! المصرى ..

وعندما أعاد رأسه إلى موضعه ، ارتطمت عيناه بفوهات خمس مدافع آلية ، مصوبة إليه مباشرة ..

ورأى أصابع خمسة رجال تضغط أزندة المدافع الآلية ، فغمغم :

ـ اللعنة ..

ودوت الرصاصات ..

★ ★ ★

لم يكن أمام (أدهم) سوى ثوان خمس ، ليواجه القنابل الثلاث ، المتناثرة فى المعمل الكبير ..

وكان عليه أن يتحرك فى سرعة ..

بل بأقصى سرعة ..

وكالبرق ، درس عقله الموقف كله ..

واتخذ قراره ..

ثم وضعه موضع التنفيذ ..

وبوثبة واحدة ، بلغ قنبلة المنتصف ، وركلها بقدمه إلى الركن الأقصى ، ثم استدار إلى مائدة البحث الكبيرة ، ودفعها بكل قوته ، ليقلبها على جانبها ، ويدفعها أمامه نحو الركن ، الذى يرقد فيه الجميع ..

وبقفزة أخرى ، انضمّ إليهم ، والتقط القنبلة الرابضة ، عند قدمى (دى مال) ، وهو يهتف :

ـ اخفضوا رءوسكم .

وبكل قوته ، رمى القنبلة الثالثة إلى الركن نفسه ، ثم حمى رأسه بذراعيه ، و ...

ودوى الانفجار ..

انفجار قوى ، صنعته القنابل الثلاث مجتمعة ، وانبعثت منه موجة من النيران ، اصطدمت بمائدة البحث ، ودفعتها أمامها فى عنف ، لترتطم بالجميع ، وشعر بها (أدهم) تضرب جانبه فى قوة ، فأغلق عينيه من فرط الألم ، وسمع تأوهات وصرخات الجميع من حوله ، فهتف :

ـ هل الجميع بخير ؟!

أتاه صوت (دى مال) يقول :

ـ إننا أحياء على الأقل .

هبَّ (أدهم) من مكانه ، هاتفًا :

ـ عظيم .

لم يكد يعتدل ، حتى وقع بصره على من تبقّى من رجال (سونيا) ، وهم يصوبون مدافعهم الآلية إلى رأس (بلاك) ، ويستعدون لإطلاق النار ، و ...

ولم يتردَّد (أدهم) لحظة واحدة ..

لقد التقط مدفعه الآلى ، ووثب عبر النافذة المحطَّمة ، وهو يطلق النيران ..

واقتلعت رصاصاته أحد رجال (السنيورا) من مكانه ، وأطاحت بالثانى فى عنف ، فتراجع الباقون فى سرعة ، وهم يطلقون نيران مدافعهم نحوه فى ذعر ..

وفى دهشة ، هتف (بلاك) :

ـ يا للشيطان ! إنك تظهر دائمًا فى الوقت المناسب أيها المصرىّ .

واصل (أدهم) إطلاق النار وهو يقول :

ـ إنك تتحدث كثيرًا عن الشيطان حتى يخيَّل للمرء أنك أحد أقاربه .

التقط (بلاك) مدفعه الآلى ، وشاركه إطلاق النار ، وهو يقول :

ـ ألم يخطر ببالك أننى أستاذه أيها المصرى ؟!

نطق عبارته ، ثم اتسعت عيناه فى مزيج من الدهشة والارتياع ، وهو يتمتم :

ـ اللعنة !

فمن خلف ساتر قوى ، كان أحد رجال (السنيورا) يصوِّب إليهما مدفعًا صاروخيًّا قويًّا ، ويستعد لإطلاقه ..

وبكل قوته ، اندفع (أدهم) يعدو مبتعدًا ، وهو يهتف :

ـ أسرع أيها الأمريكى .. أسرع .

ومن خلفهما ، انطلق الصاروخ .

وشقَّ الساحة الباردة ، وهو يجر من خلفه ذيلاً من اللهب ..

ثم انفجر فى عنف ..

ومع قوة الانفجار ، شعر الرجلان بقوة هائلة تنتزعهما من مكانيهما ، وترفعهما لمترين كاملين عن الأرض ، ثم تدفعهما أمامها ، مع حرارة رهيبة ، لأربعة أمتار أخرى ، قبل أن يرتطما بجدار المبنى الرئيسى ، ويسقطان أرضًا ..

وكان الارتطام عنيفًا إلى حد مخيف ..

وكذلك كانت النيران ..

لذا فقد احترق ظهر سترة (أدهم) ، وشعر بغيبوبة قاسية تهاجم رأسه فى شراسة ، وغامت الدنيا أمام عينيه ، وهو يحاول النهوض ، مغمغمًا :

ـ (بلاك) .. أأنت بخير ؟!

لم يجب الأمريكى ، وإن صدرت عنه تأوهات خافتة ، تؤكِّد كونه على قيد الحياة ، فدفع (أدهم) جسده فى صعوبة ، محاولاً النهوض ، ويداه تبحثان عن مدفعه الآلى فى توتر ..

ومن بعيد ، لاح له الرجل نفسه ، وهو يصوِّب إليهما المدفع الصاروخى مرة أخرى ..

وفى هذه المرة ، لم يكن من الممكن أبدًا أن تكتب لهما النجاة ..

بل لقد كان هذا هو المستحيل !

المستحيل بعينه !

وتعلَّقت عينا (أدهم) بسبَّابة الرجل ..

و ....

وفجأة ، تردَّد فى المكان دوى رصاصات قوية ..

وامتزج الدوى بصرخة الرجل ، وهو يسقط جثة هامدة ، إلى جوار مدفعه الصاروخى ..

وفى اللحظة نفسها صفت حواس (أدهم) ، وانتبه إلى ذلك الهدير القوى ..

وبكل لهفة وسرعة ، رفع عينيه إلى أعلى ..

ووقع بصره على طائرات الهليوكوبتر الروسية ..

وكان هذا يعنى أن (سيرجى كوربوف) قد وصل ..

وأن موازين القوة قد انقلبت ..

رأسًا على عقب ..

★ ★ ★

« مجانين .. كلهم مجانين .. »

هتفت (كلوديا) بالعبارة ، فى عصبية شديدة ، وهى تتطلع عبر نافذة حجرتها ، إلى طائرات الهليوكوبتر الروسية ، التى أحاطت بالمكان ، وبدأت فى الهبوط ، فى ساحة المفاعل وحوله ، ثم التفتت إلى (سونيا) فى شراسة ، مستطردة :

ـ لقد هاجموا مباشرة ، دون أن يدركوا أن (السنيورا) لا تقبل بالهزيمة قط ، مهما كانت الأسباب .

ثم اتجهت نحو الكمبيوتر ، وضغطت أحد أزراره فى حدة ، هاتفة :

ـ فليذهب كل شئ إلى الجحيم .

ومع ضغطة الزر ، انطلقت صفارات الإنذار فى المكان كله ، وانبعث صوت آلى ، يردِّد عبر مكبرات الصوت ، المنتشرة فى كل مكان :

ـ الاستعداد للتدمير الشامل .. دقيقتان على لحظة الصفر .. مائة وعشرون .. مائة وتسع عشرة .. مائة و ...

انعقد حاجبا (سونيا) فى شدة ، مع بدء العد التنازلى للتدمير الشامل ، وأشعلت واحدة من سجائرها الطويلة ، وهى تقول فى توتر :

ـ ثم ماذا ؟!

التفتت إليها (كلوديا) فى شراسة ، قائلة :

ـ ماذا تريدين يا (سونيا) ؟!

أجابتها فى حدة :

ـ أريد أن أعرف الخطوة القادمة يا (كلوديا) .

تسللت يد (كلوديا) فى حذر ، إلى مخبأ سرى ، أسفل جهاز الكمبيوتر ، وهى تقول :

ـ أية خطوة قادمة يا (سونيا) ؟!

نفثت (سونيا) دخان سيجارتها فى قوة ، قائلة :

ـ لقد أطلقت زر التدمير الشامل ، وهذا يعنى أن

المكان كله سينفجر ، خلال أقل من دقيقتين ، ولا يمكن أن تضحى بنفسك معه بالتأكيد .

أمسكت (كلوديا) مقبض المسدس ، الذى تخفيه فى ذلك المخبأ السرى ، وهى تقول فى حذر متوتر :

ـ مازلت لا أفهم ماتعنينه يا (سونيا) ؟!

هزَّت (سونيا) رأسها ، قائلة :

ـ أعنى أن الروس أحاطوا بنا من كل جانب ، والمشروع النووى فشل لثالث مرة ، والمكان سينفجر ، ولديك هنا زى مشروع (السوبرمان) ، فما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

أجابتها (كلوديا) فى شىء من السخرية :

ـ ما رأيك أنت ؟

تسللت يد (سونيا) إلى المسدس ، الذى تخفيه فى حزامها ، وهى تقول :

ـ رأيى أنه توجد فرصة نجاة لواحدة منا فقط يا عزيزتى ، وأنت تعلمين أن أيًّا منا لن تضحى من أجل الأخرى قط .. باختصار .. واحدة منا ستنجو ، والأخرى ستقع فى قبضة الروس ، أو تلقى حتفها هنا .

قالت (كلوديا) فى صرامة ، وأصابعها تقبض فى قوة على مقبض مسدسها :

ـ ليس لدى أدنى استعداد ، للوقوع مرة أخرى فى قبضة الروس .

قبضت أصابع (سونيا) أيضًا على مقبض مسدسها ، وهى تقول :

ـ وأنا لم يحن الوقت المناسب لألقى مصرعى بعد .

انعقد حاجبا (كلوديا) وهى تقول فى شراسة :

ـ أيامك ولَّت يا (سونيا) .. أنت الماضى وأنا الحاضر والمستقبل .

أجابتها (سونيا) فى شراسة أكثر :

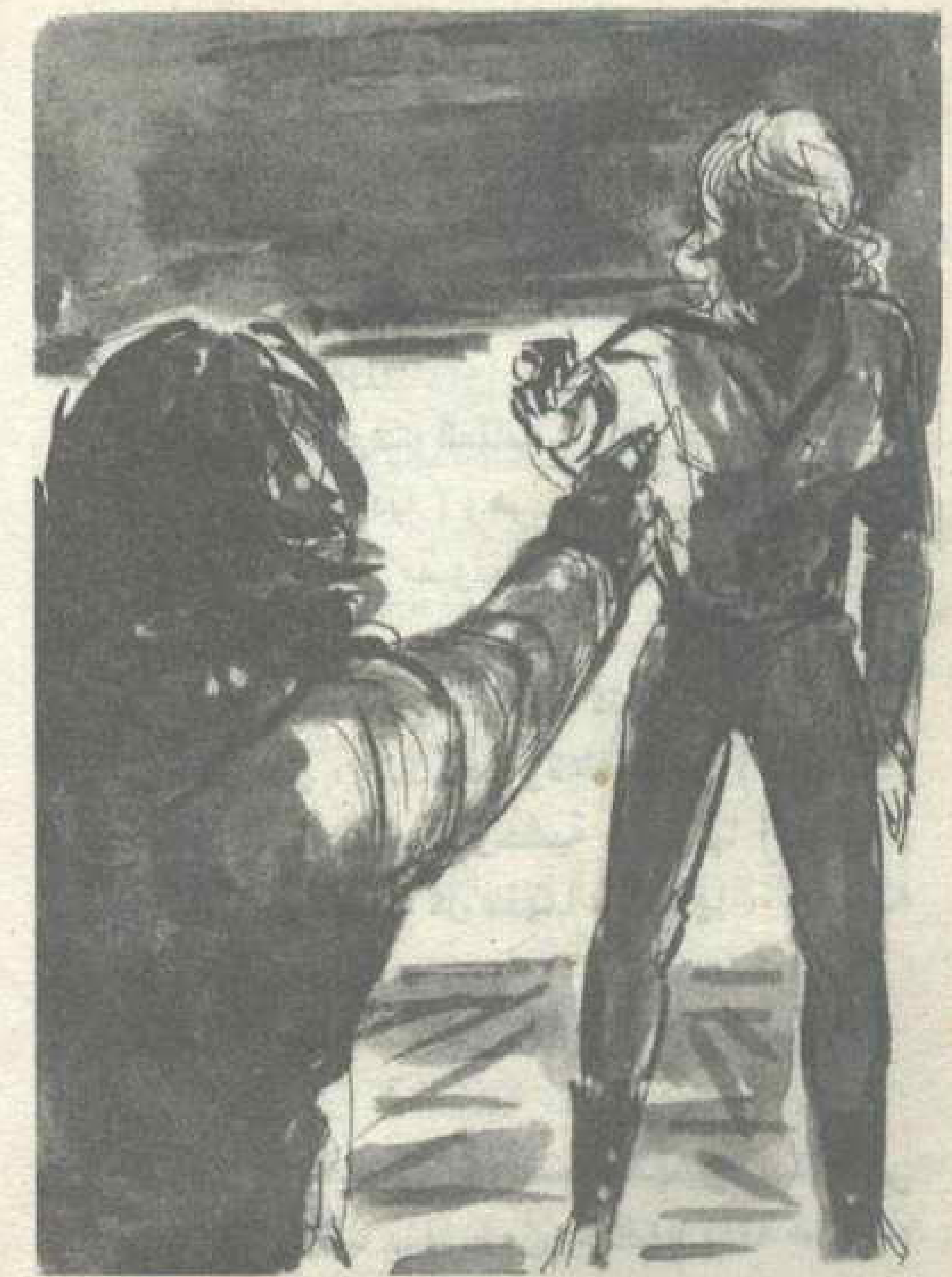
ـ بل أنا الأصل ، وأنت الصورة الفاسدة يا (كلوديا) .

قالتها ، وأطلقت صرخة وحشية ، أجابتها (كلوديا) بمثلها ، قبل أن تسحب كل منهما مسدسها ، وتصوِّبه إلى غريمتها ، و ...

وانطلقت الرصاصات ..

★ ★ ★

لم ينتظر (سيرجى) وصول الهليوكوبتر إلى الأرض ، وإنما وثب منها ، من ارتفاع ستة أمتار ، وانطلق يعدو نحو (أدهم) و(بلاك) ، هاتفًا :



وأطلقت صرخة وحشية ، أجابتها (كلوديا) بمثلها ، قبل أن تسحب كل منهما مسدسها ، وتصوّبه إلى غريمتها .

ـ أأنتما بخير ؟!

لم يكن (بلاك) قد استعاد وعيه كاملاً بعد ، فاكتفى بالتلويح بيده ، وهو يغمغم :

ـ إننا على قيد الحياة ، ولكننى لست بخير على الإطلاق .

أما (أدهم) ، فقد تحامل على نفسه ، ليقف على قدميه ، وهو يتمتم :

ـ حمدًا لله .. الجميع بخير ، على الرغم مِن كل ما حدث .

كان العلماء والعاملون بالمكان يغادرون المبنى الرئيسى ، الذى اشتعلت فيه النيران ، عندما انطلق ذلك النداء الآلى فجأة ، مع صفارات الإنذار :

ـ الاستعداد للتدمير الشامل .. دقيقتان على لحظة الصفر .. مائة وعشرون .. مائة وتسع عشرة .. مائة وثمان عشرة .. مائة و ...

واتسعت عينا (سيرجى) عن آخرهما ، وهو يهتف :

ـ اللعنة ! ألم توقفا أجهزة التدمير ؟!

لوّح (أدهم) بكفه ، قائلاً :

ـ لم يكن لدينا وقت لهذا .

اتسعت عينا (سيرجى) أكثر ، وهو يهتف :

ـ المكان سينفجر إذن .. كل ما قمنا به سيذهب هباءً .

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، و(سيرجى) يستدير إلى رجاله ، صائحًا :

ـ عودوا إلى الطائرات .. سنغادر هذا المكان بأقصى سرعة .. هيا .

توالى العد التنازلى ، والجميع يعدون عائدين إلى طائرات الهليوكوبتر ، وراح (سيرجى) يدفع العلماء والعاملين إلى الطائرات ، فى حين انعقد حاجبا (بلاك) ، وهو يغمغم :

ـ لا فائدة .. الانفجار سيودى بالجميع حتمًا ، مهما بلغت سرعة الطائرات .

مع آخر حروف كلماته ، سمع الجميع دوى رصاصتين ، من مبنى القيادة ، فالتفتوا إليه ، وهتف (أدهم) :

ـ رباه ! (سونيا) و(السنيورا) !! كيف نسينا أمرهما ؟!

صاح به (سيرجى) :

ـ انس أمرهما يا رجل .. المكان كله سينفجر خلال دقيقة واحدة ..

هتف (أدهم) :

ـ ربما كانت هناك وسيلة لمنع هذا .

قالها ، وعيناه معلقتان بمبنى القيادة ، ثم لم يلبث أن حمل مدفعه ، واندفع نحوه ، هاتفًا :

ـ الأمر يستحق محاولة أخيرة .

صاح (سيرجى) فى حدة :

ـ ماذا ستفعل أيها المجنون ؟!

أمسك (بلاك) ذراعه فى قوة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ دعه يذهب .

صاح به (سيرجى) :

ـ هل جننت ؟! المكان كله سينفجر ، بعد خمسين ثانية فحسب .

أجابه (بلاك) :

ـ إنه يعلم أن نظم التدمير الآلية تدار بوساطة الكمبيوتر ، وسيحاول بلوغ جهاز الكمبيوتر الرئيسى ، قبل أن ...

لم تكن جملته قد اكتملت ، عندما انطلق فجأة جسم بشرى ، فى زى مشروع (السوبرمان) ، مخترقًا نافذة مبنى القيادة ، ومنطلقًا نحو الجنوب الغربى ..

وصرخ (بلاك) :

ـ اللعنة !

وفى آن واحد تقريبًا ، قفزت يده ويد (أدهم) إلى الجهاز الرابض فى جيب كل منهما ، والخاص بتعطيل مشروع (السوبرمان) ، و ...

وفجأة ، دوى الانفجار ..

انفجار عنيف ، أطاح بمبنى القيادة كله ، وأطلق موجة هائلة من التضاغط ، دفعت (أدهم) أمامها فى قوة ، لثلاثة أمتار كاملة ، واقتلعت (بلاك) من مكانه ، لتلقى به نحو إحدى طائرات الهليوكوبتر فى عنف ، وأطاحت بعشرات الرجال على نحو مخيف ، قبل أن تندلع ألسنة النيران فى المبنى كله ..

وبكل إرادته وقوته كان (أدهم) أوّل من وثب واقفًا على قدميه ، وانطلق يعدو نحو الجنوب الغربى ، وهو يتابع الجسم الطائر ببصره ، ويده تلتقط الجهاز المضاد من جيبه ..

ثم انعقد حاجباه فى غضب هادر ..

فبين أصابعه ، كان الجهاز المضاد لمشروع (السوبرمان) محطمًا مكسورًا ..

تلك الصدمة العنيفة فى جانبه ، عندما انفجرت القنابل الثلاث ، داخل المبنى الرئيسى ، حطمت الجهاز فى جيبه ..

ومنحت الهاربة فرصة أخيرة ..

وفى غضب هادر ، هتف (بلاك) ، وهو ينهض من سقطته :

ـ اللعنة ! لقد نجحت فى الفرار .

صاح (سيرجى) فى حدة :

ـ فلتذهب إلى الجحيم .. دعونا ننطلق من هنا .. لم تتبق سوى ثلاثين ثانية فحسب .

كانت الهاربة قد اختفت تمامًا فى الأفق ، وسط الإضاءة الخافتة والجليد المنهمر ، ولكن العد التنازلى كان يتواصل عبر مكبرات الصوت ، على الرغم من انفجار المبنى الرئيسى :

ـ تسع وعشرون ثانية .. ثمان وعشرون .. سبع وعشرون .

وانطلقت طائرات الهليوكوبتر تقلع بالفعل ، و(سيرجى) يهتف :

ـ أسرع يا (أدهم) .. أسرع بالله عليك .

ولكن (أدهم) لم يتحرَّك من مكانه ..

كان يدرك جيدًا أن الانفجار سيكون رهيبًا ، حتى إنه لن يكون هناك أدنى أمل فى نجاة ركاب طائرات الهليوكوبتر .

والعد التنازلى يتواصل :

ـ عشرون ثانية .. تسع عشرة ثانية .. ثمان عشرة ...

ثم هتف (أدهم) فجأة :

ـ كل شىء هنا يدار بالكهرباء .. أليس كذلك ؟!

تألَّقت عينا (بلاك) فى شدة ، فى حين هتف (سيرجى) فى توتر :

ـ ماذا تعنى ؟!

أما (دى مال) ، فقد فهم ما يقصده (أدهم) على الفور ، وهتف من داخل الهليوكوبتر ، التى أقلعت بالفعل :

ـ إننى أعرف موضع محوَل الطاقة الرئيسى ..

إنه كشك عادى ، فى الركن الأقصى من الساحة الخلفية ..

لم يكد يتمَ هتافه ، حتى خُيِّل إليه أن (أدهم) قد اختفى فجأة ، إذ إن هذا الأخير قد انطلق يعدو بسرعة مذهلة ، ليدور حول المبنى الرئيسى ، فى محاولة لبلوغ كشك الطاقة الكهربية ، والعد التنازلى يتواصل فى سرعة مخيفة :

ـ إحدى عشرة ثانيةً .. عشر ثوان .. تسع .. ثمان ...

ولاح له الكشك ، فانطلق نحوه ، وهو يطلق نيران مدفعه الآلى على رتاجه بالفعل ..

وتحطَّم الرتاج فى عنف ، والعد التنازلى يتواصل :

ـ ست ثوان .. خمس ثوان .. أربع ثوان ...

وبلا تردُّد ، وثبت يد (أدهم) نحو موزِّع التيار الرئيسى ..

ثلاث ثوان .. ثانيتان ...

وجذب (أدهم) ذراع الموزِّع الرئيسى ..

وانقطع التيار الكهربى عن المكان كله دفعة واحدة ..

وتوقَّف العد التنازلى ..

ولثانيـة أو ثـانيتين ، اتسـعت عينـا (سـيرجى كوربوف) عن آخرهمـا ، وسط الظـلام ، الـذى سـاد المكـان ، ثـم لـم يلبث أن انتزع نفسـه من ذهولـه ، وأطلق ضحكة عاليـة قويـة ، ردَّدتهـا المنطقـة كلهـا ، قبل أن يهتف :

ـ يا له من رجل ! لقد فعلها المصرى مرة أخرى .. فعلها .

بلغ هتافه مسامع (أدهم) ، فتنهَّد فـى ارتيـاح ، وغمغم :

ـ حمدًا لله .

ثم أسند مدفعه الآلى إلى كشك الكهربـاء المحطَّم ، وانخفض ليجلس مستندًا بظهره إليه ، وهو يكرِّر :

ـ حمدًا لله .

لم يكد ينطقها ، حتى تحفَّزت حواسه كلها بغتة .. فعلى مسافة خطوات قليلة منه ، كانت هناك أنفاس تتردَّد ..

أنفـاس شـخص مذعـور ، يختبـئ أيضًـا خلـف الكشك ..

وبسرعة مدهشة ، جذب (أدهم) مصباحه اليدوى ومدفعه الآلى ، وألقى ضوء المصباح فـى اتجـاه ذلـك الشخص ، وهو يقول فى صرامة :

ـ توقَّف ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدِّق فى وجه البروفيسـير (بولانسكى) ، الذى ارتعد ، قائلاً فى ضراعة :

ـ الرحمة .. الرحمة ..

سأله (أدهم) فى دهشة :

ـ ماذا أصابك يا بروفيسير ؟!

تشبَّث به الرجل فى ارتياع ، وهو يقول :

ـ لا تعدنى إلى السوفييت .. أرجوك .. اقتلنـى .. انسف رأسى برصاصة واحـدة ، ولكـن لاتعدنـى إليهـم أبدًا .

تطلَّع إليه (أدهم) لحظة فى إشفاق ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ اطمئـن يا رجـل .. لن تعـود إلى ذلك المعتقـل اللعين أبدًا .. هذا وعد .

التصقت فجأة فوهة مسدس باردة بمؤخرة رأسه ،

مع صوت (بلاك) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لا تعد إلا بما يمكنك أن تفى به يا سيِّد (أدهم) .

تراجع البروفيسير (بولانسكى) فى رعب هائل ، فى حين قال (أدهم) فى هدوء عجيب :

ـ ماذا تفعل يا (بلاك) ؟!

أجابه الأمريكى فى صرامة :

ـ أنفذ الأوامر أيها المصرى .. بعد أن تنتهى العملية بنجاح ، لا بد أن تلقى مصرعك .. لقد أخبرك رئيسى بهذا صراحة .. لا يمكننا أن نسمح أبدًا بوجود شخص متفوِّق مثلك ، فى جهاز مخابرات آخر .

قال (أدهم) بنفس الهدوء :

ـ والوسيلة الوحيدة ، لحل هذه المشكلة ، هى قتلى .. أليس كذلك ؟

هزَّ (بلاك) كتفيه ، مجيبًا :

ـ الرؤساء أكَّدوا أنه لا توجد وسيلة أخرى .

قال (أدهم) :

ـ على الرغم من أننى قد أنقذت حياتك مرتين ؟!

انعقد حاجبا (بلاك) فى صرامة ، وهو يقول :

ـ لا مجال للمشاعر الشخصية فى عملنا يا رجل ، وأنت تعلم هذا جيِّدًا .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، قائلاً :

ـ خطأ يا رجل .. عملنا كله يعتمد على المشاعر الشخصية .. على حب الوطن والشعور بالانتماء إليه .. على الإيمان بالحق والعدل والحقيقة ، وإلا فبم تبرِّر أن يضحى شخص ما بأمنه وسلامته ، بل وبحياته كلها ، فى سبيل النجاح فى مهمة ما ، أسندها إليه هذا الوطن ؟!

هزَّ (بلاك) رأسه فى قوة ، وكأنما ينفض عنه كل ما نطق به (أدهم) وهو يقول فى عناد صارم :

ـ لا شأن لى بفلسفتك هذه .. مهمتى هى أن أنفذ أوامر رؤسائى فحسب .

صمت (أدهم) لحظة ، قبل أن يسأله بنفس الهدوء :

ـ إذن فأنت مصرٌّ على قتلى .

جذب (بلاك) إبرة مسدسه ، وهو يجيب :

بالتأكيد يا عزيزى (أدهم) .. لن أضيع أبدًا فرصة الفوز إلى الأبد ، بلقب الرجل الذى قضى على (رجل المستحيل) .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، قائلاً :

ـ هل تعلم لماذا أطلقوا علىَّ لقب (رجل المستحيل) يا (بلاك) ؟

سأله (بلاك) فى فضول :

ـ لماذا ؟!

انخفض (أدهم) بجسده فجأة ، فى سرعة مذهلة ، وتراجع مرفقه ، ليغوص فى معدة رجل المخابرات الأمريكى ، كمطرقة من الصلب ، فى نفس اللحظة التى أطبقت فيها أصابعه الفولاذية على معصمه ، ورفعت فوهة المسدس إلى أعلى ، لتنطلق رصاصته فى سماء (سيبيريا) ، ثم جذبه (أدهم) إليه ، وانتزعه من مكانه بقوة هائلة ، ليهوى على فكه بلكمة كالقنبلة ، ويديره فى الهواء ، ثم يلقى به أرضًا فى عنف ، ويركله فى فكه ركلة قوية ، جعلته يفقد الوعى على الفور ..

وفى هدوء ، اعتدل (أدهم) ينفض كفيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لأن أمثالك لا يمكنهم الظفر بى بسهولة .

قالها ، والتفت إلى البروفيسير (بولانسكى) ، مستطردًا :

ـ هيا يا بروفيسير .. لقد انتهت المهمة هذه المرة .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ وبنجاح .

★ ★ ★



٩ ـ الختـــام ..

رفع (سام أوكونور) كأسه عاليًا ، داخـل السيارة (الليموزين) الكبيرة ، التى تحمل شعار (سيتاديل) ، وألقى نظرة على ساعته ، وهو يهتف فى سـعادة وحماس :

ـ طبقًـا للجـدول ، المفترض أن تكون السيِّدة قد سيطرت على الأمور تمامًا .

أجابه (ماسومى) بابتسامة عريضة ، وهـو يرفـع كأسه بدوره :

ـ وأن نكون قد أصبحنا ملوك العالم بلا منازع .

قهقه (بيركينز) ، قائلاً :

ـ فى هذه الحالة هل سأحصل على لقب (أمير) ؟!

ابتسم (أوكونور) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ اللقـب الوحيـد ، الذى يصلـح لـك يـا عزيـزى (بيركينز) ، هو لقب (مضحك الملك) فحسب .

مطَّ (بيركينز) شـفتيه معترضًا ، فى حين أطلق (ماسومى) ضحكة ساخرة ، وهو يقرع كأسه بكـأس (أوكونور) ، وبدا له رنين الكأسين كموسيقى عذبة ، قبل أن يجرع كأسه فى استمتاع ، ويقول :

ـ أعظم ما فى الأمر كله ، هو أننـا قد نجحنـا فى القضـاء علـى رجـل المخـابرات المصـرى الأسـطورة ، الذى ستدور جثته حول العالم لمائة عام قادمة ، حتـى يـ ...

قاطعه سائق (الليموزين) فجأة ، وهـو يقـول فـى برود :

ـ خطأ ..

التفت الأربعة إليه فى دهشة ، وسأله (أوكونور) فى استنكار :

ـ ماذا تقول يا (رونى) ؟!

أجابه السائق بنفس البرود :

ـ أقـول إن رجـل المخـابرات المصـرى لم يلـق مصرعه .

هتف به (بيركينز) مستنكرًا فى غضب :

- هل جننت يا (رونى) ؟!

تابع السائق ، وكأنه لم يسمعه :

- أما السيِّدة ، والسنيورا ، فلم يمكنهما السير وفقًا للجدول ، ولسبب بسيط للغاية ، فقد انتهى أمر المشروع النووى كله .

اتسعت عيون الأربعة فى ذهول ، وانتزع (بيركينز) مسدسه فى سرعة ، وهو يهتف :

- أيها الـ ...

قاطعه السائق فى صرامة ، وهو يضغط أحد الأزرار أمامه :

- إياك أن تنطقها يا سيِّد (بيركينز) .. وإياك أن تحاول إطلاق النار ، فهذه السيارات ، كما ولابد أن تعلم ، مزوَّدة بحاجز من الزجاج المضاد للرصاص ، يفصل بين السائق والكابينة الخلفية ، ومن الخطأ أن تطلق النار على مثل هذا الزجاج ، لأن الرصاصة سترتدّ عنه فى عنف ، وستصيب من أطلقها أو مجاوريه .

هتف (أوكونور) مأخوذًا :

- ما الذى تفعله يا (رونى) ؟!

أجابه السائق بنفس الصرامة :

- اسمى ليس (رونى) يا مستر (أوكونور) .. بل بل (كلاوس) .. (ميخائيل كلاوس) .. من المخابرات المركزية الأمريكية .

هوت العبارة عليهم كالصاعقة ، فارتدّ (أوكونور) فى عنف ، وسقطت كأسه أرضًا ، وشهق (بيركينز) على نحو عجيب ، واتسعت عينا (ماسومى) عن آخرهما ، فى حينٍ استلّ حارسه - يوتا - مسدسه بحركة غريزية ، فقال (كلاوس) فى صرامة شديدة :

- مرة أخرى أحذِّركم من إطلاق النار على زجاج مصفَّح أيها السادة .

أمسك (ماسومى) يد (يوتا) ، وخفض فوهة مسدسه ، وهو يقول فى توتر :

- أسلوبكم هذا غير قانونى يا مستر (كلاوس) .. معلوماتى المتواضعة تؤكِّد أنه لا حق للمخابرات الأمريكية فى أن تقتحم الشئون الداخلية بل ليس لكم الحق حتى فى تسجيل محادثاتنا .

هتف (أوكونور) :

ـ السيِّد (ماسومى) على حق .. تصرّفكم هذا غير قانونى .

ابتسم (كلاوس) فى سخرية ، وهو ينطلق بالسيارة خارج المدينة ، قائلاً :

ـ ومن تحدَّث عن الأمور القانونية ؟

اتسعت عينا (بيركينز) فى ارتياع ، وخُيِّل إليه أنه قد فهم ما يرمى إليه (كلاوس) ، فى حين راح (أوكونور) يصيح :

ـ أريد محامىَّ الخاص .. أريد الاتصال به على الفور .

أوقف (كلاوس) السيارة الكبيرة ، فى منطقة خالية ، وهو يقول ساخرًا :

ـ حيث ستذهب ، لن يفيدك أعظم محام فى الدنيا يا مستر (أوكونور) .

شهق (بيركينز) مرة أخرى فى ارتياع ، ثم انقضّ على باب السيارة ، صارخًا :

ـ اخرجوا من هنا .. غادروا هذه السيارة اللعينة بسرعة .

ضغط (كلاوس) زرًّا آخر ، وهو يقول :

ـ لا فائدة .

قالها ، وغادر السيارة فى هدوء ، فصرخ (أوكونور) :

ـ لا .. لا تفعل بنا هذا .

أغلق (كلاوس) ، باب السيارة خلفه ، وابتعد عنها فى خطوات واسعة رصينة ، تاركًا الرجال الأربعة خلفه ، وهم يقاتلون فى استماتة ، للخروج منها ..

وعندما أصبح على مسافة عشرين مترًا منها ، سمع دوى رصاصتين ، مع صرخة ألم ..

ثم دوى الانفجار ..

وعلى الرغم من عنفه وقوته ، لم يحاول (كلاوس) حتى الالتفات إليه ، وإنما واصل طريقه بنفس الخطوات الواسعة الرصينة ، والتقط منظاره الشمسى من جيبه ، ليضعه على عينيه ، ثم يدنى ساعته من شفتيه ، قائلاً :

ـ تم تنفيذ المهمة .

وواصل سيره ليبتعد عن بقايا السيارة المحترقة ..
ويبتعد ..
ويبتعد ..

★ ★ ★

« لعبة أمريكية منفَّذة بمهارة مدهشة .. »

نطق مدير المخابرات بالعبارة فى هدوء ، وهو يجلس خلف مكتبه ، متابعًا تعليق شبكة (سى . إن . إن) الإخبارية على ما حدث ، فغمغم (أدهم) ، مكملاً :

- بالتأكيد ، مقتل (أوكونور) و(ماسومى) فى انفجار سيارة ملغومة ، وإعلان أن مصرعهما جاء نتيجة لمنافسة تجارية ، بعد اجتماع العمالقة الأربعة فى (نيويورك) ، ثم إلصاق التهمة بالاسترالى (كريستوفرسن) ، والإشارة إلى انتحار (مالينوفيتشى) على نحو عابر .. إنها بالفعل لعبة أمريكية .. قذرة .

وافقه مدير المخابرات بإيماءة من رأسه ، وقال :

- ولكنهم نفذوها بدقة مدهشة ، فقد كان هناك شهود ، وتسجيلات ، وصور ، وحتى أفلام فيديو ،

تؤكِّد أن (كريستوفرسن) هو المحرِّض الرئيسى على قتل منافسيه .. بل إنهم يربطون بينه وبين مصرع الروسى أيضًا ..

ثم تراجع فى مقعده ، مكملاً :

- الواقع أنهم نجحوا فى حل المعضلة ، والتخلُّص من الأربعة الكبار بضربة واحدة ، دون التأثير فى الاقتصاد العالمى ، إلا بصورة محدودة للغاية ، يمكن تجاوزها فى سرعة ، فمقتل ثلاثة من عمالقة الاقتصاد على يد الرابع ، لا يمكن أن يعنى تدهور أحوالهم الاقتصادية .. بل على العكس تمامًا .. إنه يعنى ازدهار هذه الأحوال ، إلى الحد الذى جعلها مطمعًا لملياردير كبير .

غمغم (أدهم) :

- أضف إلى هذا الجنازة الرسمية ، التى تمت إقامتها للسيِّد (أوكونور) ، والخطبة المؤثِّرة ، التى نعاه بها الرئيس الأمريكى ، وكأن الولايات المتحدة الأمريكية قد خسرت بطلاً قوميًا .

ابتسم المدير ، قائلاً :

ـ دعهم يلعبون اللعبة بأسلوبهم .

تنهَّد ، مغمغمًا :

ـ فليفعلوا ما يحلو لهم .

ثم نهض من مقعده ، متسائلاً :

ـ وماذا عن (بولانسكى) ؟!

لوَّح المدير بيده ، قائلاً :

ـ الروس وافقوا على الصفقة ، وقبلوا عملية استبدال البروفيسير (ديوك بولانسكى) بأحد جواسيسهم لدينا ، ولقد قال المسئول هناك : إنها صفقة رابحة للغاية ؛ لأن (بولانسكى) فى نظرهم لا يساوى شيئًا ، ونحن فى الوقت ذاته نعتبرها صفقة رابحة لنا ؛ فالرجل خبير فى الهندسة النووية ، وفور وصوله إلى هنا سيتسلَّم عمله فى هيئة الطاقة الذرية ، ونحن واثقون من أنه سيكون ذا فائدة جمة لنا ، فى المرحلة القادمة .

وافقه (أدهم) بإيماءة من رأسه ، ونهض من مقعده صامتًا ، واتجه إلى النافذة ، وتطلَّع عبرها لحظة إلى الفناء الخارجى ، قبل أن يقول ، فى صوت متوتِّر :

ـ وماذا عنها ؟!

أدرك المدير ما يعنيه (أدهم) بسؤاله على الفور ، فتراجع فى مقعده ، ونقر بأصابعه على سطح مكتبه ، قائلاً :

ـ الأمر ليس هينًا أوبسيطًا يا (أدهم) ، فمبنى القيادة تم نسفه بالكامل ، وظلَّت النيران مشتعلة فى بقاياه لنصف ساعة كاملة ، والجثة التى تم العثور عليها بعد كل هذا ، كانت محترقة عن آخرها ، وسيمضى وقت طويل ، قبل أن يتمكَّن الطب الشرعى من تحديد ماهيتها ، وحتى بعد ذلك ، لست أظنهم يستطيعون الجزم بهويتها ، فـ (سونيا) و(كلوديا) متقاربتين فى العمر والمواصفات الجسدية إلى حد كبير .

قال (أدهم) فى توتر :

ـ هناك فحص الأسنان ، أو بقايا العظام ، أو ...

قاطعه المدير فى رفق :

ـ (أدهم) .. أنت تعلم أنه لم يعد هناك أى سجل فى العالم لـ (سونيا جراهام) .

التفت إليه (أدهم) قائلاً فى ضيق :

ـ هناك سجل كامل لـ (كلوديا موريس) .

أجابه المدير فى سرعة :

ـ فى المخابرات الروسية وحدها ، وأنت تعلم أنهم لا يميلون لتبادل المعلومات مع الآخرين .. إنهم حتى الآن يرفضون إعطاءنا نسخة من الفيلم ، الذى صوَّرته أقمارهم الصناعية لعبور قناة السويس ، واقتحام خط (بارليف) ، فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م(*) .

هزَّ (أدهم) رأسه ، قائلاً فى توتر :

ـ لا بد أن نحسم هذا الأمر .

قلب المدير كفيه ، قائلاً :

ـ ليس أمامنا سوى إلقاء السؤال على أنفسنا ، والبحث عن جواب منطقى له .

ونهض من مقعده بدوره ، مستطردًا :

(*) حقيقة .. فلقد صورت الأقمار الصناعية الروسية عمليات العبور ، والاقتحام بالكامل ، فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ م ، ولكن الروس رفضوا (حتى اليوم) منحنا نسخة من هذه الأفلام ، ولقد أشار الرئيس الراحل (محمد أنور السادات) إلى هذا ، فى واحدة من خطبه ، بعد الحرب بعام تقريبًا .

ـ دعنا نتساءل : من منهما لقيت مصرعها هناك ، فى قلب (سيبيريا) ؟! (سونيا) أم (كلوديا) ؟!

قال (أدهم) فى حزم :

ـ (سونيا) أكثر ذكاءً وبراعة من (كلوديا) ، كما أنها كانت تسيطر على الموقف تمامًا ، عندما بدأنا هجومنا .

أشار المدير بسبَّابته ، قائلاً :

ـ وماذا عن طلقتى الرصاص ، اللتين تردَّدتا فى المكان ، بعد وصول (سيرجى) وجيشه الصغير ؟! تذكَّر أنه لم يتم العثور سوى على بقايا جثة واحدة ، بعد انهيار المبنى واحتراقه ، وهذا يعنى أن (سونيا) و(كلوديا) كانتا وحدهما تمامًا داخله ، عندما سمعتم جميعًا دوى الرصاصتين .. ما الذى يمكن أن يوحى به هذا إذن ؟! مواجهة مسلَّحة ، بين أفعى وأفعى .. أكاد أتخيَّلهما وكل منهما تستدير إلى الأخرى ، محاولةً مباغتتها ، ثم تنطلق من مسدس كل واحدة رصاصةً .

وفرقع سبَّابته وإبهامه ، مستطردًا :

- ورصاصة واحدة أصابت هدفها .

قال (أدهم) فى حزم :

- رصاصة (سونيا) .

أجابه المدير :

- أو رصاصة (كلوديا) .

هزَّ (أدهم) رأسه فى قوة ، قائلاً :

- لا يمكننى أن أتخيَّل هزيمة (سونيا) أمام (كلوديا) .

أجابه المدير فى صرامة :

- لأنك لا ترغب فى هذا .

التفت إليه (أدهم) ، متمتمًا فى توتر :

- سيِّدى ...

ولكن المدير واصل حديثه فى صرامة أكثر :

- خطأ كبير تقع فيه يا (ن ـ ١) ، لمجرَّد أنك تتمنى بقاء (سونيا جراهام) على قيد الحياة .

غمغم (أدهم) ، فى توتر أكثر :

- سيِّدى المدير ، من المستحيل أن ...

ارتفع صوت المدير أكثر ، وازداد حدة وصرامة ، وهو يتابع ، متجاهلاً مقاطعته :

- تتمنى هذا ؛ لأن بقاء (سونيا جراهام) على قيد الحياة ، يعنى أن الأمل فى استعادة ابنك أكبر ، أما مصرعها ، فقد يعنى ضياع أثره إلى الأبد ؛ لأنك تجهل كيف يبدو الآن ، وأى اسم يحمله داخل (إسرائيل) .

قاوم (أدهم) مشاعره فى صعوبة ، وهو يشيح بوجهه ، فاقترب المدير منه ، وربَّت على كتفه فى تعاطف ، وهو يكمل :

- ولكن الاحتمال ما زال قائمًا .. ربما كانت (سونيا) هى من بقيت على قيد الحياة .

تمتم (أدهم) فى صعوبة :

- نعم .. ربما .

ازدرد لعابه فى توتر ، كمحاولة للسيطرة على انفعاله ، الذى تسلَّل شىء منه إلى صوته ، وهو يستطرد :

- مازال هناك أمر أخير .

تنهَّد المدير ، وأومأ برأسه ، مغمغمًا فى أسى :

- (قدرى) .

ازدرد (أدهم) لعابه مرة أخرى فى صعوبة ، وهو يتمتم :

- نعم .. (قدرى) .

ثم عاد يلتفت إلى النافذة ، ويتطلَّع عبرها إلى الفناء ، قائلاً :

- لا يمكننى أن أتركه هناك ، بين أيديهم .

قال المدير فى حزم :

- كلنا هذا الرجل .

واستدار عائدًا إلى مكتبه ، وهو يتابع :

- لقد أطلقنا كل رجالنا ، فى (إسرائيل) كلها ؛ لجمع كل المعلومات الممكنة عن (قدرى) ، وعما يحتمل أن يفعلوا به هناك ..

استقرَّ خلف مكتبه ، وهو يواصل فى اهتمام :

- وكل ما توصَّل إليه رجالنا ، حتى هذه اللحظة ، هو أن (قدرى) قد وصل إلى (تل أبيب) ، فى طائرة طبية خاصة ، وكانت فى انتظاره سيَّارة إسعاف مجهَّزة ، فى المطار العسكرى ، الذى هبطت فيه الطائرة ، وسيارة الإسعاف هذه انطلقت من المطار

إلى جهة مجهولة ، لم يُستدل عليها حتى الآن .. إنهم لا يحتفظون به فى مبنى (الموساد) ، أو أى مبنى تابع له ، فى (إسرائيل) كلها ، وهو ليس فى أحد المستشفيات العسكرية أو المدنية أيضًا ، أو حتى المستشفيات الخاصة ، الصغيرة أو الكبيرة .. بل ولا توجد أية معلومات عنه ، يمكن الحصول عليها ، عن طريق جواسيسنا ، فى إدارات الجيش المختلفة ، وهذا يعنى أنهم يحتفظون به فى مكان سرى للغاية ، لا يعلم به إلا عدد محدود من قادتهم ، وكبار ضباط (الموساد) أو (أمان)(*) .

غمغم (أدهم) فى مرارة :

- أمر طبيعى ، فـ (قدرى) صيد ثمين للغاية ، بالنسبة لهم ، ونجاحهم فى اصطياده ، ونقله إلى هناك ، يعنى أنه أصبح باستطاعتهم استجوابه ، لمعرفة أساليبنا فى التزوير والتزييف ، وقدرات أصابعه الذهبية ، التى أذاقتهم المرار لسنوات وسنوات .

(*) أمان : المخابرات الحربية الإسرائيلية .

تنهَّد المدير ، وقال فى أسف :

ـ والمسكين لن يمكنه احتمال هذا أبدًا .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وعضَّ شفتيه فى مرارة ، وهو يتطلَّع بعض الوقت إلى فناء مبنى الأمن القومى ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ سأذهب إلى هناك .

أدار المدير عينيه إليه فى حركة حادة ، مردِّدًا :

ـ إلى هناك ؟!

أجاب (أدهم) فى حسم :

ـ إلى (إسرائيل) .

تراجع المدير بمعقده فى بطء ، وشبك أصابع كفيه أمامه ، وهو يتطلَّع إليه لحظة فى صمت ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ هذا ما يتوقعونه وينتظرونه بالتأكيد .

أومأ (أدهم) برأسه موافقًا ، وقال :

ـ أعلم هذا .

قال المدير بنفس الصرامة :

ـ وذهابك إلى هناك سيكون أمرًا انتحاريًا للغاية ، وتحديًا سافرًا لكل القواعد والقوانين والأعراف

المعمول بها فى عالم المخابرات ، والإسرائيليون سيكونون فى انتظارك فى كل لحظة ، وستجد صورتك محفورة فى أذهان الجميع .. حتى حاملى الحقائب ، فى كل المطارات والموانى .

كرَّر (أدهم) ، فى صرامة أكثر :

ـ أعلم هذا .

واصل المدير ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، ويتجه إليه :

ـ لن يفيدك أى تنكُّر ، مهما بلغت براعته ؛ فهم يدركون موهبتك فى هذا المضمار ، وسيتخذون كل الاحتياطات الإليكترونية الممكنة ؛ لكشف أمرك .

قال (أدهم) فى صرامة :

ـ فليكن .

وضع المدير يده على كتفه ، قائلاً :

ـ كل خطوة تخطوها ستحمل الخطر ، كل الخطر ، وكل لمحة قد تعنى الوقوع فى خطأ ما ، وانكشاف أمرك ، واحتمال اغتيالك ، أو وقوعك فى قبضتهم .

أومأ (أدهم) برأسه ، قائلاً فى حزم :

ـ ليس هذا بجديد .

صمت المدير لحظة ، قبل أن يسأله :

- إذن فأنت تصرّ على الذهاب إلى هناك .

أومأ (أدهم) برأسه مرة أخرى ، والتفت إلى المدير ، مجيبًا :

- (قدرى) صديقى الوحيد يا سيّدى ، وهو واحد من أهم رجالنا ، والأمران يحتمان بذل كل الجهد ، فى سبيل استعادته .. مهما كان الثمن .

تطلّع المدير إلى عينيه مباشرة لحظة ، قبل أن يقول فى حسم :

- صدقت .

كانت هذه موافقةً مبدئيةً منه على المهمة الجديدة ..

المهمة التى قرّر (أدهم) أن يواجه كل مخاطر الدنيا فيها ؛ لاستعادة (قدرى) ، خبير التزييف والتزوير الأوّل ، فى المخابرات العامة المصرية ..

ويا لها من مهمة ، من أجل الوطن ..

والواجب ..

والصداقة ..

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)



د. نبيل فاروق

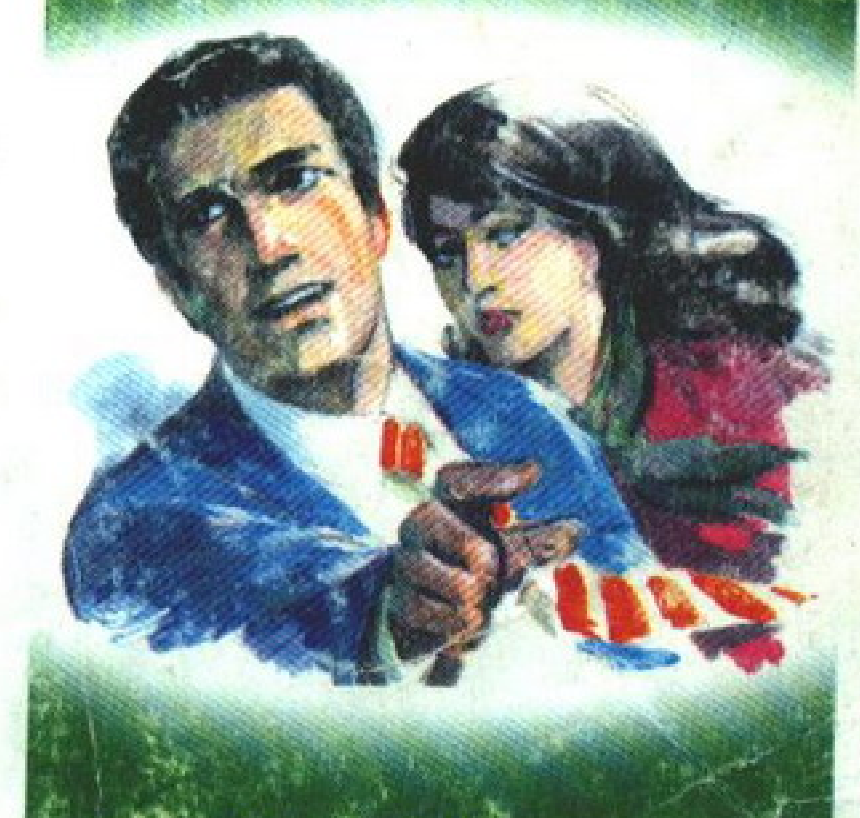
رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

121

وجه الأفعى

- كيف يمكن أن ينجو (أدهم) من ذلك الفخ الفضائي الذي أطلقه فيه (ماسومي) ؟!
- ماسر السنيورا ؟ ولماذا ظهر رجل المخابرات الروسي (سيرجي كوربوف) في قلب الأحداث ؟!
- ترى كيف ينتهي الصراع هذه المرة ؟ وهل ينكشف إلى الأبد (وجه الأفعى) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل.. (رجل المستحيل).



العدد القادم : الأصابع الذهبية

الثمن في مصر ٢٠٠ وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

٣١٤٨٩